سلسلة شروح فضيلة الشيخ ٧

العنقري

شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

رحمه الله (ت ٦٢٠هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

alanqri drangari alanqri1

للإعلام بالأخطاء الطّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٧)

شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

○ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

نشرح اليوم إن شاء الله تعالى هذا الكتاب وهو: «**كتاب لمعة الاعتقاد**» للحافظ الإمام الفقيه أبو محمد ابن قُدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

من واقع الوقت المتاح لهذا الشرح لن نتمكن إلا من شرحٍ في العموم الأغلب موجز؛ لكن ثمة مواضع محددة قد نُركز عليها أكثر من غيرها حتى قد تستغرق أكثر وقت الشرح إن شاء الله تعالى؛ لأن هذا الكتاب فيه مواضع ذُكر أن ابن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر فيها قولًا لا يتماشى إلا مع قول المفوضة، وذكر هذا عُلماء أفاضل رحمهم الله، وأخذ بهذا أيضًا ثلة من المتأخرين الذين انحرفوا في جانب الاعتقاد يظنون أن التفويض هو قول السلف؛ ولا عجب فإن الذي لم يمارس التعامل مع أقوال السَّلف ولا يدري بالكتب المصنفة حتى في اعتقاد السلف؛ لا عجب أن يعتقد أن هذا هو قول السلف؛ لأن من لا يعرف مقام السَّلف أولًا ولم يعرف الآثار الواردة عن السَّلف لا يمكن أن يفهم حقيقة قول السلف، وإلا فادّعاء الانتساب للسلف هذا ما يكاد يوجد أحد إلا ويدّعيه، يعني المعتزلة مثلًا تدّعي أن أبا بكرٍ وعمر وعثمان وعلي على قول المعتزلة.

المعتزلة نشأت أصلًا على يد (واصل بن عطاء) في وقت الحسن البصري، الرافضة يقولون مذهبنا مذهب أهل البيت؛ وهكذا كله يدّعي أن قوله هو قول السلف؛ لكن التقرير العلمي لقول السَّلف هذا لا يستطيعه إلا من مارس التعامل مع أقوال السلف؛ فإذا أردت أن تنظر اعتقاد السَّلف عند البخاري، عند أحمد، عند مسلم وإذا به اعتقاد من فهموا اعتقاد السلف، إمّا أن يأتي من لو قيل له: ما المصنفات التي تنقلُ لك اعتقاد السلف؟ لما استطاع أن يُجيب، كيف تعرف أصلًا اعتقاد السَّلف أنت لم تُمارس أقوال السلف.

فـ«**التفويض**» كما يقول أهل العلم في الصفات، **والمراد بالتفويض في الصفات**: الزعم بأن معنى الصفات غير معروف؛ بحيث يقرأ الواحد منهم الآية ويقول المعنى غيرُ معلوم، وأخذوا بعبارات لابن قُدامة، ولمن قبل ابن قُدامة كالإمام أحمد وغيره وزعموا أن هذا هو ما يُقررهُ السلف؛ فمثلًا يجدون أن السَّلف يقولون: (هذه الصفات نؤمن بها بلا تفسير) انظر الآن هذه العبارة حين يسمعهُ من لا يفهم قول السلف؛ فيقول أرأيت السَّلف لا يفسرون، أولا ما يُسقط هذا الكلام أن نقول هذا الآن من فاتحة الكتاب إلى سورة الناس، نأتيك بأقوال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة ومن بعدهم يفسرون آيات الصفات؛ فكيف تقول إن معنى قولهم: (بلا تفسير) أن المراد به ألا يُتعرض لمعنى الصفات؛ هذا أمرُ محال؛ لأنهم فسروا كما سيأتي في التفصيل إن شاء الله تعالى الآتي.

❍ **الأمر الثاني**: ما من أحدٍ من المُفوضة ألا وهو مثل الجبرية بالضبط، يعني الجبري الذي يقول: (إن الله تعالى قدّر هذه الأمور جبرًا علينا؛ فنحن نعمل هذه الأشياء جبرًا)، إن زنا الزاني فهو جبر وإن صلى المصلي فهو جبر، ويُسقطون أي استطاعةٍ للعبد، ويقولون العباد مُجبرون على ما هم ماضون فيه، مقتضى هذا القول إسقاط التكليف هذا المعنى؛ لأنه إذا زنا الزاني فإنه لم يزنِ باختياره، وإذا قتل القاتل فإنه لم يقتل باختياره؛ فإذا تعدى أحدٌ على هذا الجبري لجأ إلى القضاء وصاح وطلب بحقه قال: (ألستَ تقول إن العباد مجبورون) هو مجبور على ضربك أو أخذ مالك؛ فلا يقبل، نفس الشيء بالنسبة للمفوضة؛ كيف يسقط مذهب المفوضة الكذبة على الله وعلي رسوله؟ هو الآن يدعو ويرفع يده يسأل الله المغفرة ودموعه تتهامل من عينيه -اللهم اغفر لي اللهم اغفر لي اللهم اغفر لي- المغفرة غير معلومة، ألست تزعم أن المغفرة ليست معلُومة المعنى، والرحمة ليست معلُومة المعنى، لماذا تسأل الله؟ ولماذا تخاف من بطش الله؟ وإذا سمعت قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢] خِفت؛ لأنك تعرف المعنى، ولو لم يُعلم المعنى وصارت هذه الصفات نصوصها كأنها حروف مُفرّقة ليس لها معنى لما وقع في قلبك خوف ولا ما وقع في قلبك رجاء؛ فأنت كالجبري بالضبط الذي يُباهت ويُعاند ويدّعي له مذهبًا؛ ثم هو يُخالف مذهبه؛ فالقول بأن نصوص الصفات لا يُتعرض لبيان معناها لبيان المعنى تبيينً أن هذه المُفردة المغفرة معناها كذا، والرحمة معناها كذا، والبطش معناه كذا، هذا القول قول مُباهت، المُباهتة يعني قول المكابر المعاند؛ لأن السَّلف بيّنوا معناها؛ ولأن الذي يقول إن هذه الصفات ليس يُعرف معناها هو بنفسه يُناقض نفسه؛ لأنه يسألُ الله بصفاته ويتعوذ بالله عَزَّوَجَلَّ مما يخافُ

منه مما اتصف به كبطشه ونقمته.

الحقيقة إن التعامل مع هذا اللون من كلام أهل العلم رحمهم الله تعالى مما سيأتي بكلام ابن قدامة وغيره إن شاء الله، يحتاجُ إلى أن يُعرض كلام العالم بعضه على بعض، هذا الكتاب اعتقادٌ موجز، ألم يُصنف ابن قُدامة مصنفات أخرى؟ مُصنف، صنف مثلًا «ذم الكلام»، صنف كتاب «إثبات العُلوّ» هل فيه مفوض يُثبت العُلوّ؟ ما فيه مُفوض يُثبت العُلوّ، العُلوّ والاستواء كلها لا يتعرض لها المفوض، يقول لا يُعرف معناها، هو صنف هذه المصنفات، وسنأخذ من كلامه إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ ما يُبينه.

الحقيقة أن ثمة ألفاظًا لأهل العلم رحمهم الله تعالى، يأخذ أهل الزيغ هذه الألفاظ؛ مثل قولهم: (نؤمن بهذه الصفات لا كيف ولا معنى) فيقول: هم الآن يُقرروا أن هذه الصفات لا يُتعرض لمعناها؛ قف!! أنا آتي لك بكلام لهذا الذي قال: (ولا معنى) يُبينُ فيه معنى الصفة، أحد اثنين إمّا أن هذا الرجل من السَّلف مُتناقض يقول لا تُفسر ولا يُذكر المعنى، أو أنك أنت الجاهل بكلام هذا الرجل من السلف، والثاني هو الحق الذي لا مِرْية فيه؛ لأن هؤلاء أئمة وعلماء، ثم أنت تزعم أن السَّلف بقولك بالتفويض جهلوا أعظم بابٍ من أبواب الدين على الإطلاق، هل أعظم أبواب الدين مثلًا أحكام الفرائض والمواريث؟! لا، هل أعظم أحكام الدين عموم مسائل الحلال والحرام؟! لا؛ أعظمُها العلم بالله عَزَّوَجَلَّ؛ فهم يعلمون بربهم سبحانه وتعالى من النصوص التي عرّفهم الربُّ بها نفسه؛ ثم بنوا على ذلك بقية الأحكام من حلالٍ وحرامٍ، وفعل واجبٍ وعبادةٍ ونحو ذلك، أما أن يعرفوا الأحكام ويجهلوا العلم بالله عَزَّوَجَلَّ؛ فهذا من أقبح ما يُقال في حق السلف؛ بل السَّلف رضي الله تعالى عنه وأرضاهم أعلم الناس بالله عَزَّوَجَلَّ، إذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمُ الخلق بربّه، وقد بيّن لصحابته رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم هذا الباب العظيم من باب العلم، وهو باب العلم بالله تعالى بما عرّف الربُّ به نفسه.

ولهذا: يأتينا إن شاء الله أنه وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (بهذه الصفات عرفنا الله)، نعم نعرفُ الله عَزَّوَجَلَّ، لو قال لك طفل من أطفالك؛ هل الله ينام؟! -تجد الجواب- نعم؛ تقول له: نعم، الله يقول: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هذا الربّ العظيم القوي؛ هل يظلمُ أحدًا؛ لأن لا أحد يمنعه؟ تقول: لا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء:٤٠]، يقول هذا الربّ العظيم، هل يسمعُنا جميعًا؟ كل واحد منا يدعو، وهذا يدعو، وهذا يدعو؛ ولهذا حاجة، ولذاك حاجة، هل يسمعُنا جميعًا؟ تقول: نعم، «**والله وَسِعَ سَمْعُهُ**

الْأَصْوَاتَ».

هذه الصفات هي التي عرّفت العباد بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا ثبت في «البخاري» في خبر الصحابي الذي كان يصلي بأصحابه بسورة (قل هو الله أحد وسورةٍ معها)، فأمرهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يسألوه لماذا يصنع هذا، قال: لأنها صفةُ الرحمن وإني أُحبها، فقال للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سورة (قل هو الله أحد) صفة الرحمن، أقرّهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، ما الذي في سورة (قل هو الله أحد)؟ الإثبات والنفي، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:١-٢]؛ هذا إثبات، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ هذا نفي؛ إذًا صفةُ الرحمن تُعرف من النصوص بأن نعلم ما الذي نثبت لله وما الذي ننفي؛ وبذلك نعرف صفة الرحمن، هذا هو الوضع السوي وهو الذي مضى عليه سلف الأمة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

إذا يأتينا إن شاء الله لاحقًا؛ لماذا قال السَّلف بلا تفسير؟!

قال السلف: (بلا تفسير)، -ويأتيك إن شاء الله تعالى- البيان من نصوصٍ كثيرة؛ لأن الجهميّة أحدثوا تفسيرًا، **فقال السلف**: التفسير الواضح الجلي الذي يعلمهُ من قرأ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي مضى عليه من قبلنا فلا يُتعرض لتفسيرٍ آخر مُحدث مبتدع، كما وضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -وإن شاء الله تعالى نذكر الدلائل الكثيرة عليه من كلام السلف-.

إذًا قولهم: (بلا تفسير)؛ ليس معناه أنهم لا يفسرون نهائيًا، وإلا كان هناك تناقض؛ لأن السَّلف يُفسرون -انظر- فاتحة الكتاب إلى سورة الناس تجد أن السَّلف يُفسرون نصوص الصفات؛ فقولهم: (بلا تفسير)؛ لا بُدّ أن يكون له معنى هو تفسيرٌ مُحدث غير التفسير الذي هم فسّروه، وإلا لو كانوا يقولون: (بلا تفسير) وهم يُفسرون؛ لكانوا متناقضين أجلهم الله من ذلك، ويأتينا أيضًا إن شاء الله تعالى كلام للترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه حين ذمّ الجهميّة قال: (لأنهم فسّروا بغير تفسير السَّلف)، إذًا معلوم الوضع أن السَّلف فسّروا.

إذًا؛ لماذا تذمّون الجهمية؟!

لأن لهم تفسيرًا أحدثوه يُخالف تفسير السَّلف الذي يرويه الترمذي وأمثالهُ من علماء الأمة من السلف؛ فهم يروون تفسير هذه نصوص الأسماء والصفات عن السَّلف فجاءت الجهميّة بتفسيرٍ آخر؛ **لذلك قال**: (لأنهم يُفسّرون بغير تفسير السَّلف).

إذًا عندنا تفسيران، تفسير السَّلف المُستقر المعلوم المعروف، وتفسير الجهميّة المُحدث؛ ولهذا قال القعنبي -ويأتي إن شاء الله تعالى- ويزيد بن هارون رحمهم الله: (من لم يَقُلْ إنّ الرحمن على العرش استوى كما يقرّ في قلوب العامة؛ فهو جهميّ)، يقول لوضوح معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ؛ لأن (استوى) إذا عُديت بحرف (على) يكون معناها واضح، أنه يعني العُلوّ والارتفاع.

ولهذا: السَّلف الصالح ﷺ، هل فسّروا قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ؟! نعم؛ ففسّروه بالارتفاع على العرش؛ ولهذا غضب مالك -كما سيأتينا إن شاء الله-، لما قال الرجل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ؛ كيف استوى؟! مالك لم يغضب عليه لأنه طلب المعنى لو قال: يا أبا عبد الله ما معنى؟ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ؛ لوضّح له؛ لأن السَّلف وضّحوا معنى الآية ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ؛ لكنه يريد الكيفية، والكيفية لا شك أنها لا يمكن أن يُحاط بالله تعالى في تفصيلٍ سيأتي.

إذًا هذه الكلمات إذا رُدّ بعضُها إلى بعض اتضح كلام العالم إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، -ويأتيك إن شاء الله تعالى- أن الحقيقة التي لا ريب فيها ولا تردد، أن القول بالتفويض هو قول من أقوال الأشاعرة، هو من أقوال الأشاعرة أصلًا، وهو الذي يرجع إليه أساطين الأشاعرة في آخر عمرهم كـ(الجويني والرازي) الذين لهم توبة في آخر حياتهم يرجعون للتفويض، يرجعون لتفويض المعنى؛ ولهذا يقول السبكي -وهو من أشد الأشاعرة غلوًا وتعصّبًا- يقول: (إن للأشعرية قولان في الصفات، تأويل الصفات -وهو التحريف الذي يفعلونه-، والتفويض؛ كلاهما لنا مذهب)؛ هكذا يُقرّر؛ لأن حقيقة التفويض هو قول الأشاعرة.

ولهذا العجب!! هؤلاء الذين يُسمّون أنفسهم بالحنابلة، يدّعون الانتساب للإمام أحمد، ويدّعون

الانتساب للسلف، أنهم على وئامٍ شديد مع الأشاعرة؛ لأن هذا القول قول الأشاعرة.

-يأتينا إن شاء الله تعالى- أن المصنف ابن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشد الناس على الأشعرية، كان شديدًا جدًّا على الأشعرية -كما سيأتي إن شاء الله تعالى-؛ لأنه يرى أنهم جهميّة في الصفات؛ فكيف يقول ابن قُدامة بقولٍ هو من أقوال الأشاعرة، وهو «**التفويض**».

إذًا «**التفويض**» حاصلهُ: (أن المعنى غير معلوم)؛ ولهذا قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن المتأخرين أحدثوا عبارةً مولّدةً لم يقُلها السلف؛ حيث قالوا إن هذه الصفات ليست على ظاهرها؛ فظاهرها غيرُ مُراد ولا نخوض في ظاهرها) هذا هو التفويض، يقول: مقالة مولّدة هذه، أتى بها هؤلاء المبتدعة وزعموا أن هذه الصفات على غير ظاهرها، طيب إذا كانت على غير ظاهرها، ما المعنى على غير ظاهرها؟! قال لا نخوض فيها؛ هذه عبارة مولّدة، أتى بها هؤلاء وزعموا أنها هي مقولة السلف، -وتأتي إن شاء الله تعالى بإذن الله تعالى، تأتي تفاصيل في هذه المسألة-.

هذا في الحقيقة أهم في نظري أهم ما في «**اللُمعة**»؛ لأن اللُمعة بقية المسائل الموجودة فيها، في أكثرها أشار لها إشارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ -كما سيأتي في الكلام على الحوض أو نحوه- أو تكلّم في مسائل عظيمة لا يتوقف فيها سُنّي ولا يحتاجُ إلى مزيد إقناع مثل القول في الصحابة رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم، فكثير مما في اللُمعة يمكن أن يُمرّ عليه مرورًا عابرًا؛ لكن عند الموضعين الذين ذكرت إن شاء الله تعالى سنحتاج إلى مزيد من التوضيح والتبيين إن شاء الله تعالى وفي مقدمة اللمعة.

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

والمراد «**لُمعة الاعتقاد**»: (اللُمعة) لها عدّة معاني الأقرب لكلمة (لُمعة الاعتقاد) هنا أنها البُلغة، (اللمعة) البُلغة من العيش، المقصود به هنا: البُلغة من الاعتقاد الذي على مذهب السلف.

۞ قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قُدامة المقدسي في كتابه «لمعة الاعتقاد، الهادي إلى سبيل الرشاد»: « بِسْمِ اَللهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ، اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، اَلَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، جَلَّ عَنْ اَلْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ اَلصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ اَلْعِبَادِ، لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، لَهُ اَلْأَسْمَاءُ اَلْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ اَلْعُلَى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥-٧] أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ اَلْعَظِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ اَلْكَرِيمِ».

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه المقدمة؛ بأن سمى الله عَزَّوَجَلَّ وهذا المشروع لمن صنَّف كتابًا أو خطب خُطبةً أن يذكر الله في المقدمة أن يُسمي أو يحمد؛ فجمع بين التسمية والحمد، وأن الله تعالى يُعبد في كل زمان -سبحانه وبحمده- ولا يخلو من علمه مكان؛ فهو يعلمُ كل شيءٍ عزّ اسمهُ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام:٥٩] الآية، ولا يشغلهُ شأنٌ عن شأن -سبحانه وبحمده-؛ لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى:١١].

الإنسانُ من طبعه، والمخلوق من طبعه أنه ينصرف إلى شأنٍ مُحدد؛ فلو أُشغل بشأنٍ آخر لتشوش،

أما الله عَزَّوَجَلَّ فلا يشغلهُ شأنٌ عن شأن؛ ولهذا وسع سمعه الأصوات، وأبصر كل شيءٍ من خلقه سبحانه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ:٣].

ثُم ذكر ما يتنزهُ الربّ عنه، وأن يُنزه عن أن يكون له شبيه أو ندّ، **والنّد**: هو المثل، وتنزه عن الصاحبة وهي الزوجة والأولاد، وحكمه سبحانه وتعالى نافذٌ بلا ريب في جميع العباد، والمراد الحكم القدري فما شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يُنفذهُ نفذ لا يردُ الله تعالى عن إنفاذ حُكمه راد.

ثُم بيّن أن الربّ لا يمكن أن يُدرك بعقل ولا بتوهم، لا يدعي أحد أنه لكمال عقله ورُجحان فهمه يستطيعُ أن يمثل الله تعالى بما وهبهُ من تفكير -معاذ الله-، الله تعالى لا يُمثل بتفكير، ولا تتوهمه القلوب بجعل صورة له سبحانه وتعالى؛ فلا يُعرف بفهم ولا بوهم سبحانه وتعالى؛ وإنما كما عرّف عبادهُ سبحانه؛ فنعرفه بما عرّف به نفسه.

ولهذا يأتي أمر الصفات هذا من أعظم الأبواب؛ لأن الصفات تعريفٌ للعباد بربهم -مثل ما ذكرنا- إذا قال لك قائل: هل الله يسمع؟! هل الله يُبصر؟! هل الله يعلمُ ما في القلوب الآن؟! يعلم ما يجوز في النفوس؟! ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق:١٦]، كُل الناس!! كل الناس، في وقتٍ واحد!! في وقتٍ واحد، ولا يشغلهُ هذا عن هذا!! لا يشغله، هؤلاء الذين يدعون كلهم يدعون الله عَزَّوَجَلَّ، هذا يدعو بلسانٍ عربي، وهذا بلسانٍ أعجمي، وهذا له هذه الحاجة، وذاك له هذه الحاجة، يعلمُ سبحانه وتعالى حاجاتهم جميعًا؛ ولهذا نبهنا عند قول النبي ﷺ: «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، **قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي**»؛ لمن؟ كل من يقرؤها لو كانوا بمئات الملايين، في وقتٍ واحد يقول عَزَّوَجَلَّ: «**حَمِدَنِي عَبْدِي**»، لكل من قرئه؛ لأن صفاته لا تُقاس، لا يُشغله شأنٌ عن شأن بحيث يقول هذا الكلام لهذا المصلي دون هذا المصلي، كما أنه يسمعُ سبحانه وتعالى دعوة هذا وهذا؛ فكذلك يقول للمصلي: « **حَمِدَنِي عَبْدِي، مَجَّدَنِي عَبْدِي، أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي**»؛ كل هذا يقولهُ لجميع المصلين؛ لأن صفاته لا يُمكن أن تُقاس بصفات المخلوق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]؛ فهو يسمعُ الجميع ويُبصر الجميع سبحانه وتعالى، وليس كمثله في سمعه وبصره ولا في شيءٍ من صفاته ليس له مثيل سبحانه وتعالى.

ثُم ذكر بعض الآيات، مثل استوائه تعالى على العرش -ويأتي إن شاء الله تعالى-، وعلمه السر

وأخفى، وأن الله تعالى قد أحاط بُكل شيءٍ علما؛ فلا يعزبُ عن علمه شيء، وأنه من جهة حُكمه وعزّته قد قهر جميع المخلوقين ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] الجميع عبيد له سبحانه وتعالى، ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ فرحمته تبارك وتعالى وسعت كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، موصوفٌ بماذا؟ بالذي يصفُ به نفسه في كتابه أو فيما أنزله على نبيه ﷺ، أما ما سواه فلا يوصف الله تعالى بشيءٍ مما اخترعهُ المتكلمون مما سمّوه دلالات العقل الدالة على هذا؛ وكذلك الأسماء، وكذلك الفلاسفة كل هؤلاء اجترئوا جُرأةً قبيحة وسمّو الله بما لم يُسم به نفسه ووصفوه بما لم يصف به نفسه؛ وفي الوقت نفسهُ نفوا عنه ما أثبته لنفسه فالله تعالى نعلم أسماءهُ وصفاته من كتابه وسنة نبيه ﷺ .

❁ **قال المصنف:** «وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي اَلْقُرْآنِ، أَوْ صَحَّ عَنْ اَلْمُصْطَفَى عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ مِنْ صِفَاتِ اَلرَّحْمَنِ وَجَبَ اَلْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيلِ، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ .

وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِهِ، اِتِّبَاعًا لِطَرِيقِ اَلرَّاسِخِينَ فِي اَلْعِلْمِ، اَلَّذِينَ أَثْنَى اَللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ اَلْمُبِينِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي اَلتَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] ؛ فَجَعَلَ اِبْتِغَاءَ اَلتَّأْوِيلِ عَلَامَةً عَلَى اَلزَّيْغِ، وَقَرَنَهُ بِابْتِغَاءِ اَلْفِتْنَةِ فِي اَلذَّمِّ، ثُمَّ حَجْبِهِمْ عَمَّا أَمَّلُوهُ، وَقَطْعَ أَطْمَاعِهِمْ عَمَّا قَصَدُوهُ، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ».

هذا الموضع يحتاج إلى كما قلنا إلى شيءٍ من البسط والتبيين -وسنرجع إن شاء الله تعالى- إلى كتب الإمام ابن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونوضح مُرادهُ فإنه في هذه العقيدة مثل ما ذكرنا يوجز العبارات؛ فهذه العبارات فيها إجمال، إذا رددنا هذا الإجمال إلى التفصيل اتضح إن شاء الله تعالى الأمر.

أولًا: أوجب أمرين:

❍ **الأمر الأول:** يعُمَّ جميع الصفات، وهو الإيمان بها، وقبول ما جاءت به النصوص منها، ومنع

المسالك الباطلة الأربعة التي ذكرها -ونتكلم عليها إن شاء الله-.

❍ **الأمر الثاني**: الذي أوجبهُ يخصُّ ما أشكل على أحدٍ من هذه الصفات؛ فأفردهُ بُحكمٍ خاصٍ هو ما سمعناه.

إذًا الأمر الأول أن الواجب على كل من بلغهُ صفةٌ من صفات ربه تعالى في القرآن أو صح عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يؤمن بهذه الصفة تمامًا كما أنك تؤمن بأن الله تعالى أوجب الواجبات وحرّم المحرمات؛ فكذلك ما وصف به نفسهُ تثبته لله تعالى، ما نفاهُ عن نفسه تنفيه عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ وكذلك ما جاء في سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتلقاهُ بالتسليم والقبول، تُسلم لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله تعالى يُخبر عن نفسه أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخبر عن ربه؛ وتقبلهُ وتترك التعرض له بالمسالك الأربعة الفاسدة:

❍ **المسلك الأول**: هو الردّ، أن تردّ على الله عَزَّوَجَلَّ ما أثبت لنفسه؛ فالردّ هو تكذيب، بأن يُكذب النص الوارد؛ فمن كذّب نصًا واردًا في القرآن صُراحًا كان يقول: (ليس لله يد) أو يقول: (الله لا يستوي على عرشه)؛ فهذا قد كذّب نفس اللفظ وتكذيب نفس اللفظ كفر بلا شك، يعني مثل ما قال: (الصلاة غير واجبة، الخمر غير محرمة)؛ لأنه مُناقض مضاد ردّ الحكم؛ فكذلك إذا ردّ ما أثبت الله لنفسه، ولا أعلم في فِرق الأمة كلها من يقول هذا، حتى الجهمية، كل هؤلاء ما أحد يستطيع أن يقول إن أنا أُكذب أن الله استوى على العرش، أُكذب أن الله تعالى يجيء يوم القيامة؛ لكن يزعم أن للاستواء معنى هو كذا، يُحرف المعنى -هذا يأتي الكلام عليه-؛ لكن لو قال أحد: لا، الله تعالى وإن قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، أنا أقول: (الرحمن لا يستوي) ما في أحد يقول هذا لو قال هذا أحد يكفر بوضوح.

❍ **المسلك الثاني**: التأويل؛ والتأويل في كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلام السَّلف له معنيان:

المعنى الأول: هو التفسير، أوّل الآية **أي**: فسّر الآية.

المعنى الثاني: هو حقيقة الشيء، ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾ [الأعراف:٥٣] إلى آخر الآية، (يوم يأتي تأويله)، ما تأويل النار؟! حقيقتها -نسأل الله العافية- حين يشاهدها، يشاهدونها ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣]، تأويل النار ما هو؟! حقيقة النار التي يرونها؛ وكذلك الجنة (هل ينظرون إلا تأويله) هذا هو معنى التأويل.

اخترع المتأخرون معنى للتأويل لطّفوا به ما فعلوه من التحريف، وذلك أنهم يصرفون اللفظ الظاهر الواضح الجليّ الذي تجدُ فيه تفسير النبي ﷺ وتفسير الصحابي وتفسير التابعي؛ فيحرفون إلى معنًا آخر؛ فبدلًا من أن يُسمو فعلهم القبيح تحريفًا يسمونهُ تأويلا؛ لأنه لا أحد يقول تعالوا تعالوا سأحرّف معاني هذه النصوص، ما أحد يقبل هذا الكلام؛ لكن يقول سأؤول ويسمي التحريف تأويلًا؛ فهذا مما اصطنعه المتأخرون، أما في النصوص فإن التأويل على ما ذكرنا له المعنيان اللذان ذكرنا.

❍ **المسلك الثالث:** حين أتكلم عمّا يجب من التعامل مع هذه النصوص تركُ تشبيه الربّ سبحانه وتعالى بشيءٍ من خلقه، وكذلك ترك التمثيل؛ فهذا الفعل لا شك أنه فعل من لا يعرفون الله، فـ«**التشبيه**»: بأن يُثبت لله عزوجل مشابهًا فيما يختصُ به تعالى من حقوقٍ أو صفات، و«**التمثيل**»: أن يُثبت لله مماثلًا فيما اختص به تعالى من حقوقٍ أو صفات.

وهل فيه عاقل يمكن أن يقول إن هذا المخلوق الضعيف الذي كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٩] يُشبه الله أو مماثل لله؟!!

ما يقول هذا أحد إلا مُعاند مُباهت من أهل الزندقة والإلحاد؛ ولهذا الذين يقولون هذا أصل من ابتدع هذه الفكرة هم زنادقة الرافضة السبئية الأوائل هم الذين أتوا بالتشبيه؛ كذلك مُتقدمي هشام بن الحكم وكذلك الجواليقي وأمثالهم من الزنادقة؛ لأنهم الحقيقة هم زنادقة لم يقول أحد أن صفة الله مثلُ صفة المخلوق، إذ قال شيخ الإسلام في «الرسالة المدنية»: (أكثر أصحابنا على أن المُشبه كُفار)، **أي**: حين يقول إن الله مثل المخلوق كذّاب، يكون الله مثل المخلوق في علمه في سمعه في بصره!! يعزبُ عن الله ما يعزب عن المخلوق!! يعلمُ الله نفس ما يعلم المخلوق!! ما يقول هذا إلا إنسان زنديق.

❍ **الحاصل:** إن هذه المسالك الأربعة نبّه على وجوب تركها عند التعرض لهذه الصفات.

قال: ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق، لا شك فيه ولا ريب؛ إنما نطق به فهو لا ينطق عن هوى عليه الصلاة والسلام، ولا نرد على رسول الله ﷺ ، ولا نصف الله تعالى بأكثر مما أوصف به نفسه؛ بلا حدٍ ولا غاية ما نحدد نحن الصفة لله عزوجل، الله تعالى هو الذي يعلمُ صفاته على ما هي عليه؛ ولهذا كلمة «**الحدّ**» تارةً تُنفى وتارةً تُثبت؛ فهل يُقال إن لصفات الله حدًّا، تارةً تجد أن بعض أهل العلم يقول: (بلا حدّ) **أي**: بلا حدٍّ نعلمهُ؛ لكن هل للصفات حدّ يعلمه الله؟ نعم؛ فلها حدّ يعلمهُ الله، أمّا

نحن فلا نعلمُ حد! الصفة، فإذا قال: (بلا حدّ) أي: نعلمه، وإذا أثبت الحدّ للصفة؛ فإنه يقول حدٌّ يعلمهُ الله سبحانه وتعالى.

ثُم أورد: «**قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾** [الشورى:١١]، **وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ ٱلْوَاصِفِينَ**»؛ لو أراد أحد أن يصف الله من تلقاء نفسه فإنه لا يمكن أن يبلغ وصف ربّه سبحانه؛ لأن لا تستطيع أن تصف إلا من قد أحطت به إحاطة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

❁ **قال المصنف:** «**نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ**».

«**المُحكم**»: هو الواضح البين، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩] مُحكم واضح، أن هذا النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد أرسلهُ الله تعالى للناس.

«**المُتشابه**»: هو الذي لا يتضح لفظهُ إلا إذا رُدّ إلى المُحكم؛ فاللفظة الواردة فيها نوع من التشابه، وقد أخبر الله تعالى أن هذا الكتاب أنزله هكذا ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، الواجب أن تُردّ المتشابهات إلى أمّ الكتاب هذه المحكمات، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] المتُشابه هو الذي لا يُعرف معناه إلا بردّه إلى المُحكم؛ فإذا رُدّ إلى المحكم زال تشابهه.

ونُعطيك مثالًا عليه: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، أليس الله في السماء؟! بلى، ما معنى قوله : ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾؟!

لأهل العلم مسالك في الجواب على هذه الآية؛ **فمنهم من يقول**: رُدّ هذه الآية المتُشابهة إلى نظيرتها المُحكمة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤] (الإله) معناه المعبود **أي**: أن الله معبود أهل السماوات ومعبود أهل الأرض، وهذا أوضح الأجوبة.

قول آخر لبعض أهل العلم يقول: إن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فيه وقف، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام:٣] ؛ فيكون كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ثم استأنف قال: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣] ؛ فيكون قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام:٣] في قوله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، ويبقى قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣] كلامٌ مُستأنف، قالوا فهذا المتُشابه؛ فيبقى قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ **أي**: أنه تعالى في السماء، وفي الأرض يعلم سركم وجهركم، وهذا ورد في أكثر من موضع التنبيه إليه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث أخبر تعالى أنه كما في سورة المجادلة وفي سورة الحديد أنه تعالى في السماء وهو يعلم ما العباد عاملون؛ وهكذا في حديث الأوعال وغيره أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء لا يخفى عليه شيءٌ من أمر عباد سبحانه وتعالى.

قال المصنف: «وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ، وَلَا نَتَعَدَّى اَلْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ اَلرَّسُولِ ﷺ **، وَتَثْبِيتِ اَلْقُرْآنِ».**

قوله: «ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت» **أي**: أنه يأتي إنسان ويشنع ويقول أنتم مُشبهة، أنتم مُجسّمة، أنتم كُفار، أنتم ارتدتم، أنتم كذا؛ هذا تشنيع هذا، لا نتنازل ونترك الحق لمجرد أن هذا يُشنع؛ فالتشنيع هذا على صاحب المذهب الحق هذا كثير من قِبل أهل التعطيل وأهل المذاهب المنحرفة؛ فالمعتزلة تُشنع على أهل السنة بأنهم مجبرة، والرافضة تُشنع على أهل السنة بأنهم ناصبة، وأنواع من أنواع التشنيع لا يترك المؤمن الحق الذي قد علمهُ من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لتشنيع مُبتدعٍ عليه، هذا مُراده.

قوله: «ولا نتعدى القرآن والحديث»، لا نتجاوز القرآن والحديث بما سمّاه أهل الاعتزال مثلًا العقل وهو ليس بعقل هو هوى؛ لكن يُسمون هواهم عقلا.

قوله: «ولا نعلم كيف كُنهُ ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، ونثبت القرآن»، **الكُنهُ**: هو الحقيقة، هذه مسألة إلى الله عَزَّوَجَلَّ علمها؛ فلا نعلمُ ذلك ونصدق الرسول ﷺ، ونثبت القرآن الوارد.

هذا الموضع أخذ منهُ مثل ما قلنا بعضهم أن ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مال إلى قول المُفوضة، قالوا لقوله: «ولا معنى»؛ لو أردنا أن نضع هذا السؤال، هل معنى الصفات واضح؟! يقال: معنى الصفات من حيث المُفردة (الاستواء) هو العُلوّ على العرش هذا واضح، أما المعنى الذي الله عليه، يعود بك إلى ماذا؟ إلى الكُنه، يعود لك إلى كيفية الصفات؛ فتحقيق المعنى الذي عليه الله عَزَّوَجَلَّ بحيث يُعرف معنى هذه الصفة

على الحدّ الذي الله عليه، هذا إلى الله وهو الكيفية؛ فلهذا لا نبادر إذا سمعنا من يقول (بلا معنى) مباشرةً -كما سيأتي إن شاء الله تعالى في كلام كثير من أهل العلم-، أن نقول هذا قول المُفوضة الحق إن هذا استعجال؛ حتى يُعرف أنه يقول إن المعنى منفي من أصله من المُفردة نفسها اللغوية يُنفى هذا وضع آخر، أما إذا قال: (ولا معنى) يقال المعنى الذي عليه الله يعود إلى الكيفية -ويأتي إن شاء الله تعالى- عرض كلام ابن قدامة في كتابه هذا على مواضع مما في نفس الكتاب وعلي كتابه «ذم التأويل» وغيره.

ابن قُدامة ذكر أن من أشكل من هذه الصفات يجبُ معه أمران:

- **الأمر الأول:** إثباتُ لفظه؛ لأنه من عند الله فلا يحل لنا إلا الإيمان به؛ لأنه من عند الله.
- **الأمر الثاني:** ترك التعرض للمعنى، وردّ العلم به إلى من قاله.

وهذا هو الواجب على من جهل أمرًا ولم يتبين له في النصوص؛ يلزمه أن يُثبت اللفظ؛ لأنه كلام الله أو كلام رسوله ﷺ حقٌ لا شك فيه وإن جهل هو معناه؛ فليس له أن يتعرض للمعنى، أن يقول أنا أجهل المعنى، إذا جهلت المعنى فاصمت لا تجمع الجهل بالمعنى والجُرأة على تبيين المعنى وأنت لا تعلمه؛ فمن جهل معنى شيءٍ فإنه إذا خاض فيه خاض بلا علم، هذا الكلام من ابن قدامة في قوله: (بلا معنى) نقول فيه إجمال، والقاعدة أن يُعرض الكلام المجمل على الكلام المبيّن، سبب الإجمال أن ابن قدامة هنا في مقام إيجاز، سمّاه «لُمعة» مجرد بُلغة موجزة، ولم يُفصل، فمتن اللُمعة موجز كما ترى ولم يُرد التفصيل، إذا رجعنا لكلام ابن قدامة المبيّن اتضح مُرادهُ بهذه الكلمة هنا، ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتاب اسمه «ذم التأويل» قال فيه: (ومذهب السَّلف الإيمان بصفات الله وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته، أو على لسان رسوله ﷺ، من غير زيادةٍ عليها، ولا نقصٍ منها، ولا تجاوزٍ لها، ولا تفسيرٍ لها، ولا تأويلٍ لها؛ بما يُخالفُ ظاهرها)، الآن بدأ يتضح الكلام، أنه ينهى عن تفسيرٍ أو تأويلٍ يُخالفُ الظاهر؛ إذًا فهو ماذا يريد؟! يريد أن يُثبت الظاهر، الظاهر ما هو الظاهر؟! الذي دلّت عليه اللغة، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، فهو باللغة العربية حتى تعقلوا وتفهموا، فقال: (ولا تفسيرٍ لها ولا تأويلٍ لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيهٍ بصفات المخلوقين؛ بل أمرّوها كما جاءت، وردّوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها)، له كتاب آخر اسمه «**تحريم النظر في كُتب الكلام**»، أورد فيه قول ابن عقيل -وابن عقيل مال إلى مقالات المعتزلة- ما

الذي يظهر لكم من معنى هذه الألفاظ الواردة في الصفات؟ ردّ ابن قدامة بقوله: (هذا تسرعٌ في التجاهل)؛ كأنه لا يعرفُ معتقد أهل السنة؛ ثم قال ابن قدامة: (قد علمنا أن لها معنى في الجملة، يعلمهُ المتكلم بها؛ فنحن نؤمنُ بها بذلك المعنى)، أرأيت!! ردّ كلام العالم إلى كلامه الآخر، اتضحت الآن القول: (بلا معنى) يقول لها في الجملة معنى يعني قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢] ما في أحد ما يعرف معناه ممن يعرف لسان العرب، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣] يقول في الجملة معلوم؛ ولهذا يقول مستنكرًا على ابن عقيل هذا السؤال الذي سأله -يقول كأنه لا يعرف اعتقاد أهل السنة- (علمنا أن لها معنى في الجملة يعلمهُ المتكلم بها فنحن نؤمن بها بذلك المعنى)، هنا ماذا يقول؟ (ولا معنى) أرأيت مراده بقوله: (ولا معنى) إذا عرضتهُ على باقي كلامه المفصل اتضح معناه، ثم قال رادًا على ابن عقيل -أيضًا- حين نفى العلم بالمعنى ردّ عليه بقوله: (كيف يسأل عن معنى -يعني ابن عقيل- وهو يقول لا أعلمه، وكيف يسأل عن كيفية ما يرى أن السؤال عنه بدعة والكلام في تفسيره خطأ)، يقول: أنت الآن تقول إن المعنى غير معلوم، وتفسيره خطأ، إذًا أنت كيف تسأل عن معنى شيءٍ أنت تقول إني لا أعلمه، وكيف تسأل عن كيفية ما ترى أن السؤال عنه بدعة والكلام في تفسيره خطأ، **أي**: يُنكر على ابن عقيل ما زعمه من عدم العلم وعدم التفسير، إذا جمع طالب العلم بين كلام ابن قُدامة في الموضعين هنا تبيّن أنه لا يقول بتفويض المعنى على ما عليه المفوضة وذلك من خلال الآتي:

- **أولًا**: أنه نصّ على أن مذهب السَّلف هو عدم تفسير الصفات وتأويلها بما يخالف ظاهرها وذلك يعني أن معناها الظاهر هو الذي يجبُ التزامهُ وعدم تأويله؛ كما في طريقة من؟! ابن قُدامة أصلًا صنّف كتابه «ذم التأويل»؛ للرد عليهم وهم أهل التأويل، المفوضة يقولون: ظاهر الصفات غيرُ مُراد وابن قُدامة هنا يوجب التزام الظاهر الذي دلّت عليه الصفات؛ فعلمنا بذلك الفرق بين قول ابن قُدامة وبين قول هؤلاء المفوّضة.

- **ثانيًا**: نصّ في الموضع الثاني في كتابة «تحريم النظر في كتب الكلام» نصّ بوضوح على أن صفات الله لها معنى، يعلمهُ المُتكلم ونحن نؤمن بهذا المعنى.

- **ثالثًا**: في بقية كلامه في هذا الموضع استجهل من فوّض المعنى؛ حيث قال في ردّه: (كيف يسأل عن المعنى؟! -يعني ابن عقيل- وهو يقول إن هذا المعنى مما لا يُعلم ويذكرُ أن تفسيره بدعة) فإذا

جمعت قوله بإثبات المعنى وقوله بأن السَّلف لا يُفسّرون الصفات بمعنى يخالف ظاهرها مع استجهاله لمن سلك طريق المفوّضة علمت أن كلامه هنا في «اللُمعة» في هذا الموضع فيه إجمال، إذا عُرض على بقية كلامه زال ما فيه من إجمال وتبيّن.

❍ **رابعًا:** ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ صنف كتاب «إثبات صفة العُلوّ»، والعُلوّ لا يمكن أن يُصنف فيه مفوّض؛ لأن المفوّض يترك الكلام نهائيًا لا في العُلوّ ولا في الاستواء ولا في إي شيء من هذه الصفات؛ إذ هو يزعم أن الصفات لا يُتعرض لإثبات حقائقها، مما يوضح لك بُعد ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مذهب المفوّضة هذا الكتاب، **قال في مقدمته:** (أمّا بَعدُ: فإن الله وصف نفسهُ بالعُلوّ في السماء، ووصفه بذلك رسوله، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة والأئمة، وتواترت الأخبار بذلك على وجهٍ حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزًا في طباع الخلق أجمعين؛ فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للنداء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرجِ من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم، لا يُنكر ذلك إلا مُبتدعٌ غالٍي في بدعته أو مفتونٌ، وأنا ذاكر في هذا الجزء بعض ما بلغني من الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن صحابته والأئمة المقتدين بسنته)؛ ثُم ساق ابن قدامة النصوص الواردة في القرآن الدالة على العُلوّ وهي كثيرة؛ ثم ساق النصوص من السنة وهي كثيرة أيضًا، ثم ساق آثار الصحابة والتابعين وكلام أئمة الإسلام في إثبات عُلوّ الله، وأن الله مستوٍ على عرشه، ومنه قول ابن المبارك: (لما سئل كيف نعرفُ ربنا؟ فقال: في السماء السابعة على عرشه)؛ ثم أورد ابن قُدامة ما رواه الخلال عن الإمام أحمد أن الإمام أحمد سُئل عن قول ابن مبارك هذا؛ فأقرّه قائلًا: (هكذا هو عندنا) **أي:** أن نعرف ربنا بكونه سبحانه وتعالى في السماء السابعة، وروى أيضًا ابن قدامة: (أن أحمد قيل له: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم؛ على العرش ولا يخلو من علمه مكان)؛ وبعد أن ساق النصوص والآثار في آخر كتابه ابن قُدامة قال: (وأوّل من خالف في ذلك فيما علمنا الجهم بن صفوان)، **أي:** أوّل من خالف في إثبات صفة العُلوّ ونحوها كذلك صفة الاستواء وغيرها «الجهم من صفوان»؛ فعاب ذلك عليه وعلى أصحابه الأئمة من العلماء والفقهاء واستعظموا قولهم وبدعتهم؛ ثم إن الجهميّة مُضطرون إلى موافقة أهل الإسلام على رفع أيديهم في الدعاء، وانتظار الفرج من السماء وقول سبحان ربي الأعلى –**أي:** في الصلاة–، وتلاوة ما يدل على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، يقول هذا الكلام اللي قولناه في أوّل الشرح أنهم

مُعاندون مُباهتون، هو الجهمي إذا أراد أن يدعو رفع يديه إلى السماء، لمن تدعو؟! هاتان يدان اتجهت إلى من؟! لو اتجهتا لغير الله لكان شركًا؛ هكذا مُباشرة يرفع يديه وبصرهُ إلى السماء، يقول: هم الآن الجهميّة على هذا، هم مُضطرون إلى موافقة أهل الإسلام على رفع أيديهم في الدعاء وانتظار الفرج من السماء، يقول: (ثم لا يزالون -أي: الجهميّة- يسمعون من السنة ما يُقرّع رؤوسهم ويُحزن قلوبهم، ويسمعون من عامة المسلمين في أسواقهم ومحاوراتهم من ذلك ما يُغيظهم -أي: من أن الله تعالى في السماء، أن الله فوقنا ونحو ذلك-، لا يستطيعون لهم ردّا، وليس لهم في بدعتهم هذه حجةٌ من كتاب الله ولا سنةٍ ولا قول صحابيٍ ولا أمامٍ مرضي إلا اتباع الهوى) واضح جدًّا؛ مفوّض يستحيل أن يُثبت العُلوّ، مُحال أن يثبت العُلوّ.

حدثني يعني أحد طُلابنا بأنه كان عند أحد هؤلاء المفوّضة في مكتبته، ويزعم أنه على طريقة الحنابلة وهو أبعد الناس عن الحنابلة، يقول فوجدتُ كتاب ابن قدامة «إثبات صفة العُلوّ» -في مكتبته- قلتُ يا شيخ ما هذا الكتاب؟! يقول ما أجابه وضحك.

هذا الكتاب أصلًا ضدّ كلامه ويزعم أنه على اعتقاد ابن قُدامة، هذا الكتاب في مكتبتك الآن في إثبات العُلوّ، لم يستطع الجواب؛ لأنه لا يمكن أن يقول العُلوّ أحد من المفوّضة.

لذلك قلنا: إن الألفاظ هذه التي يكون فيها شيء من الإجمال تُردّ إلى الكلام المبيّن فيتضح بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ما كان فيها من إجمال ويزول الإشكال الذي فيها.

هذا مُجمل يعني ما يقال في الكلام على ابن قدامة يضيف له.

❍ **خامسًا**: من الوجوه الدّالة على بُعد ابن قدامة عن المفوّضة أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما قلنا من أشد الناس ذمًا للأشعرية، وله مصنفات في الردّ عليهم وأبطل قولهم؛ بما يُسمى (بالكلام النفسي) الذي قالت به الأشاعرة؛ والأشعرية من أشهر من قال بالتفويض وبالتأويل -كما ذكرنا- وموقفه بالغ الشدة منهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -كما رأيت-.

وابن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ له موقف لطيف مع أحد مشاهير الأشاعرة سلّم هذا الأشعري على ابن قُدامة، ابن قدامة لأنه يرى أنهم من أهل البدع لم يردّ عليه؛ فسُئل في ذلك قال: هو يقول بالكلام النفسي، وأنا رددتُ عليه في نفسي، -أليس يقول بالكلام النفسي هو؟- يقول: أنا رددتُ في نفسي -أي: إلزامًا له بقوله

بالكلام النفسي- يعني مذهب من المذاهب المبتدعة التي انفردت بها الأشعرية يعني مبدأهُ من ابن كُلّاب، ومُراد ابن قُدامة التّهكم بقول الأشاعرة هذا؛ والأشعرية هم أصحاب القول بالتفويض، فكيف يكون هذا موقفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهم؛ ثم يقول بقولٍ من أقوالهم، وله الحقيقة كلام شديد جدًّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصنّف في «إثبات الحرف والصوت»، وأن القرآن أن كلام الله بحرف وصوت -يأتينا إن شاء الله تعالى- كله من باب الردّ على الأشعرية، وإن كان تصنيف كتابه في إثبات العُلوّ ردًّا على الأشعرية؛ الأشعرية لا تُثبت العُلوّ، والتفويض مسلك من مسالك الأشعرية، فكيف يقال إن ابن قدامة على هذا المسلك لهذه الفرقة مع موقفه هذا منهم!!

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

(١) نهاية الدرس الأول.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

❍ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المصنف:** «قَالَ اَلْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اَللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ فِي قَوْلِ اَلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اَللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا» و «إِنَّ اَللهَ يُرَى فِي اَلْقِيَامَةِ»، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى، وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ اَلرَّسُولُ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اَللهِ ﷺ، وَلَا نَصِفُ اَللهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ اَلْوَاصِفِينَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ، وَلَا نَتَعَدَّى اَلْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ اَلرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ اَلْقُرْآنِ».

بعد ذلك نقل كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يتعلق بحديث النزول والرؤية، وما أشبهها، أوجب فيه أحمد الآتي:

❍ **الأول:** الإيمان بها، فتقدم الكلام عنه.

❍ **الثاني:** نفى تكييفها، وليس المراد: إذا قالوا: «**بلا كيف**» أنها ليس لها كيفية، المراد: نفي أن نعلم كيفية الصفة، التي الله تعالى عليها حقيقة؛ لأن هذا مما اختص الله تعالى به وحده، وقد قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥].

❍ **الثالث:** نفي وجود معنى لهذه الصفات يخالف المعنى الذي فهمه رسول الله ﷺ

وأفهمه الصحابة ﷺ، وأفهمه الصحابة التابعين، لا شك أن هذا هو مقصود الإمام أحمد، ويأتيك -إن شاء الله تعالى- البيان.

وليس المعنى أن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينفي العلم بمعنى الصفة، الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيد من يعلمون الآثار والنصوص، ولا يخفى عليه أبدًا أن السلف قد فسَّروا هذه الصفات وبيَّنوا معانيها، كما قلنا: أن ذلك موجود في مثل: «**تفسير ابن أبي حاتم**»، «**تفسير ابن جرير**»، وكذلك في الكتب المصنفة في الاعتقاد، مثل: كتاب اللالكائي: «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»، «**الشريعة**» للآجري، وهكذا كتب السنة عمومًا التي صنِّفت في بيان معاني صفات الله تبارك وتعالى في الاعتقاد، ومن ضمنها أن بيَّنت معاني هذه الصفات، تفسير السلف وبيان معنى الصفة؛ هذا موجود في هذه الكتب بالأسانيد الثابتة الصحيحة التي لا يشك فيها الإمام أحمد.

إن قلت: ما الدليل على أنَّ الإمام أحمد لم يرد بنفي المعنى نفي العلم بالمعنى من أصله كما تقول المفوضة؟ **فالجواب من وجوه**:

❍ **الأول**: أن ابن بطة روى في «**الإبانة الكبرى** عن أحمد: «**ولا معنى إلا على ما وصف به نفسه**»، ولهذا قلنا: إن ردَّ كلام العالم بعضه إلى بعض مهم للغاية، فأثبت لها معنى يليق بالله، وهو كما وصف به نفسه.

❍ **الثاني**: قوله في نفس الكلام: «**وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ**»، التشنيع، وأن يُشنَّع على أهل السنة جملة من الحرب الكلامية؛ بأنكم مجسِّمة، بأنكم مشبِّهة، بأنكم كفار، بإثبات أن تشبِّهون الله، هذا معنى التشنيع، أحمد يقول: «**وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ**»، أهل التأويل درجوا على التشنيع على أهل الإثبات؛ لإثباتهم الصفات، ويوردون عليهم: أنَّ إثباتكم للصفات على حقيقتها يلزم عليه شناعات توجب كفركم، ويهوِّنون بمثل هذه العبارات، فالتشنيع الذي يشنِّع به هؤلاء يوجهونه لمن؟ لمن أثبت لهذه الصفات معاني حقيقية، أمَّا من فوَّض المعنى؛ قال: أنا لا أخوض نهائيًّا في المعنى؛ فلا يشنِّعون عليه أصلًا، المعطلة لا تتعرض لهذا أصلًا؛ لأنهم يرون -كما قلنا- أن مسلك التفويض مسلك صحيح، وهو الذي يعود إليه كثير منهم كما قلنا.

به تعرف أن كلام الإمام أحمد هنا يدل على استحالة أن يكون مراده تفويض المعنى، نفس المعنى؛

أي: نفس معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأن معناه: ارتفع على العرش، مستحيل أن يكون هذا هو مراد الإمام أحمد.

❍ **الثالث:** في بقية كلام الإمام أحمد ما يبين المراد من نفي العلم، حيث قال: «**وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ الْقُرْآنِ**»؛ فاتضح أنه يريد نفي العلم بالكيفية، الكُنْهُ: هو حقيقة الشيء، فهو يريد نفي العلم بالكيفية، لا نفي المعنى الصحيح الذي فسَّر به السلف هذه الصفات، السنيُّ إذا نفى الكيفية، وأوجب الإيمان بالوارد من الصفات في النصوص؛ كان مفادُ كلامه وجوب إثبات معنى الصفة، وأنه ينفي العلم بكيفيتها، فإن نفي الكيفية عن أمر لا يُعلم معناه؛ لغوٌ من القول، هذا من المواضع النفيسة في «الفتوى الحموية»، إذا نُفي العلم؛ بمعنى كلمة من الكلمات، مفردة من مفردات، هل تحتاج أن تنفي الكيفية عنها؟ لا؛ لأنك إذا لم تعلم المعنى؛ فيقينًا لن تعرف الكيفية، متى نحتاج أن ننفي علمنا بالكيفية؟ إذا عرفنا المعنى، فنقول: نعرف المعنى للاستواء، للنزول، لكن ننفي علمنا بكيفية نزول الله عَزَّوَجَلَّ، فتعرف معنى الصفة، لهذا لا يُحتاج إلى نفي الكيفية إلا عند إثبات المعنى، أرجو أن تكون المسألة هذه واضحة، متى – الآن- تنفي الكيفية عن شيء؟ إذا أثبتَّ معناه، فتقول: أنا أثبت معناه، وأنفي علمي بكيفيته، فنحن نثبت أمر الجنة والنار من حيث المعنى، الكيفية التي يكونون عليها؛ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ما تستطيع أن تعرف الكيفية، ولهذا قال الله لأهل النار لمَّا طلبوا أن يُزاد من أضلوهم أن يزدادوا في عذابهم، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٨] ، وهم في النار، وهم في النار عياذًا بالله، لا تعلمون الكيفية التي ستأتيكم مما يخالف ما ذُقْتُم، فنحن نؤمن باليوم الآخر وما فيه، ونعرف معانيه: أن الجنة دار المتقين، وأن فيها من الخيرات والفضل كذا وكذا، لكن كيفية هذا لا نعلمه، إذًا عرفنا المعنى ونفينا الكيفية، مع أن هذا فيه مخلوق؛ الجنة مخلوقة، والنار مخلوقة، فربُّ العالمين سبحانه وتعالى أعظم وأجل من أن يُحاط بكيفيته، وهو الذي يُنفى دائمًا في كلام السلف؛ العلم بالكيفية، وهو الذي قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا سأله الرجل: قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ، كيف استوى؟ ما قال: ما معنى استوى؟ وإلَّا لوضَّحه.

❁ **قال المصنف: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ».**

معلوم المعنى، ألست عربيًّا، حرف «**عَلَى**» إذا جاء مع الفعل «**اسْتَوَى**»، أي: عُدِّي «**اسْتَوَى**» استوى

بحرف «عَلَى»؛ فإن معناه: الارتفاع، هذا معناه، لكن أنت سألت عن الكيفية، كيف استوى؟ والله لا يُسأل عنه بكيف، ولا لماذا، كما يقول أهل العلم، يقولون: الله تعالى لا يُقال له: كيف؟ ولا لماذا؟ أي: لا يقال له تعالى لماذا جعلت الصوم في شهر رمضان؟ مَن أنت حتى تسأل رب العالمين سبحانه وتعالى، الله عَزَّوَجَلَّ في مقام أجل وأعلى من أن يوجه له بكلمة: لماذا، وهكذا لا يقال لله عَزَّوَجَلَّ: كيف؟ فالله عَزَّوَجَلَّ أجل وأعلى، لما سأل عن الكيفية غضب عليه مالك، قال: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ»؛ أي: معلوم معناه، وفي الرواية الأخرى: «اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ»، ما أحد يجهله من أهل اللغة واللسان العربي حتى تأتي لتسأل عن معناه، وإن سألت عن معناه بيَّنَّاه لك، فهو غير مجهول، أسوأ معلوم أي: معلوم المعنى، والكيف مجهول.

هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرَّق بين المعنى والكيفية، فقال: إن المعنى واضح، والكيفية هي المجهولة، الأسوأ معلوما والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه، والسؤال عنه بدعة، السؤال عن ماذا؟ عن الكيفية، هل يُعقل أن يكون مالك الذي يقول: الأسوأ معلوما، يقول: سؤالك عن هذا المعلوم بدعة، ومالك يروي بسنده عن السلف: أنهم فسَّروا الاستواء، وبيَّنوا معناه، هل مالك يضلِّل للسلف؟ ويقول: إنهم حين قالوا: إنَّ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: بمعنى: ارتفع أنَّهم ابتدعوا، مستحيل أن يكون هذا معناه، إذًا الاستواء معلوم المعنى، والكيفية التي الله عليها الله أجل وأعظم من أن نعرف كيفية صفته سبحانه وتعالى.

❁ **قال المصنف: «وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ».**

لأن الله أخبرنا به في كتابه.

❁ **قال المصنف: «وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ».**

أي: عن الكيفية.

إذًا نقول: نفي الكيفية عن أمر لا يُعلم معناه؛ لغوٌ من القول، لأنَّ الذي لا يُعلم معناه لا يحتاج المرء أن يقول فيه: لا أعلم بالكيفية؛ لأنه قد أفصح أنه لا يعلمه من جهة أصل معناه، وما دام كذلك؛ فإنَّه لا يحتاج أن يقول: لا أعلم كُنهه وحقيقته التي الله عليه، بل يحتاج أن ينفي كيفية ما يُثبت معناه، كما في الصفات، بعد أن يُقرِّر الإيمان بمعناها، يقول: علمي بمعناها له حد يقف عنده، حيث إني لا أحيط بربي تعالى علمًا؛ لأنه يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

إذًا صفاته تعالى معلومة من جهة المعنى، مجهولة من جهة الكيفية، ويأتي -إن شاء الله تعالى- كلام لعدد من أهل العلم في ذلك.

❍ **الثالث**: من أظهر ما يُجلِّي قول الإمام أحمد وقول السلف في هذه العبارة: «**وَلَا مَعْنَى**»: أنهم قالوا في الصفات -وآمل أن ينتبه الإخوة لهذه المسألة لأنها تجلي المسألة بوضوح-: «**أمرُّوها كما جاءت بلا كيف**»، وقالوا نفس العبارة في رؤية الله في الآخرة، قالوا في الرؤية: «**أمرُّوها كما جاءت بلا كيف**»، مع أن السلف يقررون أن الرؤية على حقيقتها، وأنَّها بالأبصار، ينصُّون كذا، يقولون: بالأبصار، ثم يقولون في الرؤية: «**أمرُّوها كما جاءت بلا كيف**»، ألستم تثبتونها بالأبصار؟ بلى، لكن الكيفية التي تكون عليها الرؤية هذه لا تخُضْ فيها، فمن تأول حقيقة الرؤية عند السلف؛ فإنهم يعدُّونه معطلًا، وهي من مسائل الممايزة الكبيرة بين السلف وبين الجهمية، إذا نفى أحد الرؤية؛ فهو جهمي مباشرة، ومع ذلك يقول السلف في الرؤية التي يثبتونها: «**أمرُّوها كما جاءت بلا كيف**»، جاء هذا عن عدد، رواه اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عدد من السلف رحمة الله تعالى عليهم.

بل أوضح من هذا كله: الآن صاحب الكبيرة أليس معلومًا حكمه عند أهل السنة، وعند الخوارج، وعند المرجئة؟ أهل السنة إذا مات شارب خمر، ماذا يقولون فيه؟ يقولون -كما قال الإمام أحمد في «**أصول السنة**»، وغيره، وكما يقول السلف قبله وبعده من أهل العلم: إنه تحت مشيئة الله، إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له، وإنَّا نرجو له ونخاف عليه، أي: أهل السنة يقولون: نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء، يقول الإمام أحمد: «**نرجو للمحسن ونخاف عليه؛ هذا محسن، ونرجو للمسيء ونخاف عليه**»؛ لأن هذا المسيء من أهل التوحيد.

ما علاقة هذا بالموضوع؟ الإمام أحمد قال في نصوص الوعيد: «**أمرُّوها كما جاءت بلا كيف**»، أليست مسألة صاحب الكبيرة واضحة؟ يقول: «**أمرُّوها كما جاءت**»، وقالوها في الرؤية، وقالوها في الصفات، فلو كان معنى قولهم: «**أمرُّوها كما جاءت**» المتعلقة بالصفات أنها لا تُعرف معاني هذه الصفات؛ لكان مصير صاحب الوعيد غير معروف، ولهذا -مباشرة- حين يقول أحد: إن شارب الخمر إذا مات عليه يكون خالدًا في النار؛ يقول أهل السنة مباشرة: كذبت، بل هو تحت المشيئة، إذًا لأهل السنة اعتقاد، وإذا قال المرجئ: إن صاحب الكبيرة إذا لقي الله تعالى لا تضره كبيرته؛ يقول أهل السنة: كذبت، إذًا لأهل السنة اعتقاد في صاحب الوعيد، نعم، لماذا قال أحمد: «**أمرُّوها كما جاءت؟**» لأنَّ «**أمرُّوها كما**

جاءت» لا تعني نفي المعنى المعروف، وإنما «**أمرُّوها كما جاءت**» ليبقى الزجر لصاحب الوعيد، فإذا جيء عند التفصيل؛ يُقال: صاحب الوعيد تحت المشيئة بلا شك، إذًا هذه العبارة قالها الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صاحب الوعيد، وقالها رَحِمَهُ ٱللَّهُ –أيضا– في الرؤية؛ مما يدل على أن ما فهمه هؤلاء من كلام الإمام أحمد أنه غير صحيح من أنه ينفي المعنى.

نزيد وجهًا آخر –وهو من ألطف الوجوه–: أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سُئل عن حديث النزول أوجب الإقرار به، نزول الرب في الثلث الأخير، فلمَّا ذُكر له تأويل من أوَّل النزول؛ قال للسائل: اسكت عن هذا، ما لك ولهذا؟!! أمضِ الحديث على ما رُوي بلا كيف ولا حدٍّ، وتلا قول الله: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [النحل:٧٤] ، ثم قال –وانتبه لما قال–: «**ينزل كيف شاء بعلمه وقدرته وعظمته، أحاط بكل شيء علمًا، لا يبلغ قدْرَه وصفُ واصفٍ، ولا ينأى عنه هرب هارب**»، رأيت –الآن– كيف أنه يُثبت النزول؟ ويرد على من يتأوَّله، وقال: ينزل كيف شاء، فأثبت النزول، وأن نزوله كما يشاء سبحانه وتعالى، وعلي الكيفية التي يعلمها، ويحيط بها.

ممَّا يوضح أن أحمد يثبت المعنى وينفي الكيفية: ما نقله عنه ابنه عبد الله في كتاب «**السنة**»، حيث قال: «**سألته عن قوم يقولون: لمَّا كلَّم الله موسى لم يتكلم بصوت؛ فقال: بلى، إن ربك** عَزَّوَجَلَّ **تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت**»، فيثبت أن الله تعالى كلَّم موسى بصوت، وأنه يروي الأحاديث كما جاءت، لا يُتعرض لها.

هناك عبارات كثيرة تجدها في كتاب اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**شرح أصول أهل السنة**»، وضع سياقين اثنين في رؤية الله تعالى، وأنها على حقيقتها، وأنها بالأبصار، وروى عن السلف من الصحابة والتابعين – قطعًا بعد أحاديث النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعد النصوص القرآنية– أنَّهم يثبتون أنها بالأبصار، ومع ذلك يقولون: «**أمرُّوها كما جاءت بلا كيف**»؛ فعُلم أن مراد السلف بنفي الكيفية ليس نفيَ أن يكون للصفة معنىً حقيقيًّا كما تزعمه المفوضة، بل هم يثبتونها لله عَزَّوَجَلَّ على الوجه اللائق به، وينفون الكيفية.

الرابع: لأي شيء قال أحمد، وقال السلف: «**وَلَا مَعْنَى**»، إذا كان الأمر كما قررنا؟ السبب أن إثبات المعنى الحق لهذه الصفات من المعلوم المتكرر عند الأمة، حتى ابتدع الجهمية اختراع معنىً لا أصل له في هذه النصوص؛ فأوجب السلف لزوم المعنى المعروف المنقول عن السلف، والكفَّ عن إحداث أيٍّ

معنىً باطل يخالف المعنى المعروف الذي ورد عن سلف الأمة ثابتًا بأسانيد صحيحة، فكل معنىً خالف ما قرر السلف في الصفات؛ وجب إبطاله، ولهذا قالوا: «**وَلَا مَعْنَى**»؛ أي: ولا معنى مما أحدثه الجهمية، وليس المراد إبطال المعنى المنقول عن السلف، لأن المعنى المشهور المعروف عن السلف هذا لا يمكن أن يرده علماء السنة، بل تلقَّوه بالقبول، ولهذا قال مالك: «**الاستواء معلوم**».

وممَّا يوضح لك ذلك -أيضا-: هذا الأثر النَّادر جدًّا الوارد عن الإمام أحمد، قلَّ أن تجد من يشير إليه -للأسف-، يرويه الأثرم: أن رجلا حدَّث بحديث: «**يَضَعُ الرَّحْمَنُ فِيهَا قَدَمَهُ**»؛ أي: النار، يقول: لمَّا حدَّث بهذا الحديث كان عنده غلام، الغلام هذا غلام عربي على فطرته يفهم الكلام؛ أن النَّار -عياذًا بالله- لا تزال تقول: «**هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ** - أي: يكفيني، حسبي وعزتك-»، فلما حدَّث هذا الجهمي بهذا الحديث، وعنده غلام، أقبل على الغلام فقال: إن لهذا تفسيرًا، ماذا قال الإمام أحمد مباشرة؟ انظر إليه، كما تقول الجهمية سواءً، أي: انظر سيغير فطرة هذا الغلام، قال: إنه من الجهمية؛ لأنه سيغير المعنى الظاهر الذي فهمه هذا الغلام، فأنكر عليه ما أراد من تفسير الحديث تفسيرًا يخالف ما يفهمه من ظاهره كل ذي فطرة سويٍّ حتَّى من الغلمان، واتَّهمه أحمد مباشرة بأنه يريد أن يذكر تفسير الجهمية، وإلَّا ما الذي يحمله على أن يقول لهذا الصبي: إن لهذا تفسيرًا؛ لولا أنه يريد أن يغير المعنى المفهوم من الحديث.

ممَّا يجلي لك ذلك: نص السلف على أن هذا المعنى الظاهر الجلي هو المعروف حتَّى عند العامة من المسلمين، لكن قبل ذلك نقول: الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا ذمَّ الجهمية حين ردُّوا نصوص الصفات، قال في سبب ذمِّه لهم: ففسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم، كل أحد يعرف أن الترمذي يتكلم عن تفسيرين اثنين: تفسير السلف، وتفسير الجهمية، لماذا تذمُّ الجهمية؟ قال: لأنهم فسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم، هذا ذكره في «**السنن**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لمَّا ذكر جملة من أحاديث الصفات، وذمَّ الجهمية على مسلكهم، قال: لأنهم فسَّروا هذه النصوص على غير ما فسَّرها أهل العلم من أهل السنة، فعلمنا أن أهل السنة يفسِّرون، وإذا قال مباشرة: إنهم يفسرون؛ فلا يمكن أن يكونوا مفوِّضة، لأن المفوِّض لا يفسِّر.

هذا المعنى الجلي الواضح الذي يعلمه كل أحد يعرف اللسان العربي حتى لو كان عاميًّا، هو الذي لأجله قال يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يَقِرُ في قلوب العامة؛ فهو جهمي**»، يقول: العامي العربي إذا سمع قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ؛

يفهم مباشرة، فإذا جاء أحد يقول: لا، ليس هذا المعنى؛ فهو مباشرة جهمي، وقال ذلك القعنبي -أيضًا- : «**من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما تقرر في قلوب العامة؛ فهو جهمي**»، لأن الذي يتقرر في قلوب العامة هو المعنى الظاهر، يقول: إذا قال: ليس هو المقصود؛ فمباشرة هو جهمي.

لذلك: تكاثرت الآثار عن السلف في لزوم ما عليه العامة الذين كانوا في زمنهم ممَّن يفهم النص على ظاهره، المعروف المتقرِّر عندهم، لهذا قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن الأهواء: «**عليك بدين الأعرابي والغلام في الكتَّاب، والْهُ عمَّا سوى ذلك**»، وفي لفظ: «**انظر دين الأعرابي والغلام في الكتَّاب فاتبعه**»، وقال ابن هرمز: «**عليكم بدين العواتق اللاتي لا يعرفن إلا الله**»، العواتق: أي: البنت أول ما تبلغ وتشب؛ لأنها شبَّت على فطرة سوية، وهي ذات لغة عربية، فتتعامل مع النصوص بحسب ظاهرها البيِّن الجلي، وقد ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ذكر البيان أن الله في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله، وعلي لسان نبيه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين؛ علمائهم وجهَّالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكرناهم وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم**»، وهذا أمر واضح عند المسلمين: أن الله تعالى في السماء، حتى عند العامة، بل حتى عند الأطفال، وقال الدارمي -عثمان بن سعيد، لمَّا ذكر دلالة النصوص على علو الله، وإنكار الجهمية لدلالة النصوص عليها: «**فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما وصفنا من ذلك، نستغني فيه بالتنزيل عن التفسير**»، لأنه واضح، ما الشيء الذي تحتاج إلى تفسيره؟ الذي يحتاج إلى بيان، مفردة من المفردات تحتاج إلى بيان، أمَّا ما هو واضح فالتنزيل مباشرة فيه، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، يحتاج توضيحًا؟ واضح أنه رسول الله الذي ابتعثه الناس، لهذا قال: «**فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما نصَبْنَا من ذلك، فنستغني فيه بالتنزيل** -أي: بنص القرآن- **عن التفسير، يعرفه العامة والخاصة**»، إلى قوله: «**فهذه الأشياء التي اختصصنا في هذا الباب قد خلص علم كثير منها إلى النساء والصبيان، وليس هذا من العلم الذي يُشكل على أحد من العامة والخاصة؛ إلا على هذه العصابة الملحدة في آيات الله** -أي: الجهمية-»، يتضح بذلك أن التفسير المنفي والمعنى الذي نُهي عن إيراده؛ هو ما قرَّرته الجهمية، أمَّا المعنى الحق الذي يفهمه العالم، بل ويفهمه العامي؛ فهذا لا يمكن أن ينكره علماء السنة، إذ كيف ينكرونه وهم يروونه بالسند الصحيح عن الصحابة والتابعين، بيَّنتُ هذه الآثار وهذه النصوص وهذه المقولات في كتاب صغير اسمه: «**حكم اعتقاد العامة عند السلف**»، ورددت -أيضا- على المفوضة من الأشعرية وأضرابهم؛ مثل: السبكي، والسُّنوسي، وأمثالهم، في كتاب موجود في الموقع عندي، هو كتاب

إلكتروني.

ممَّا يجلِّي كلَّما تقدَّمنا أكثر: ما رواه قوام السنة وغيره، عن أبي عبيد لمَّا ذكر أحاديث الصفات، ودقِّقْ يا طالب العلم في كلام أبي عبيد، أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام كبير في العربية، من طريف ما وقع: نقاش بينه وبين الشافعي في القُرء، ما المراد بالقُرء؟ فكان الشافعي يرى أنه الحيض، وكان أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أنه الطُّهر، فتناقشا واشتد نقاشهما، فتقلَّد الشافعي قول أبي عبيد، وتقلَّد أبو عبيد قول الشافعي، انظروا الإنصاف، أبو عبيد في نهاية المناظرة قال: ما قررتَهُ يا شافعي اتَّضح لي أنه الصواب، لكن الذي حصل أنني أنا –الآن- اقتنعت بكلامك،هذا من نوادر المناظرات، ومن دلائل الإخلاص، وقصد الإنصاف، أبو عبيد إمام كبير جدًّا، ولهذا تجد كلام أبي عبيد كثيرًا في «**صحيح البخاري**»، ينقل عنه البخاري كثيرًا، معاني الكلمات في الأحاديث، سواء أكانت في الصفات أو في غيرها، أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ روى عنه قوام السنة، لمَّا ذكر أحاديث الصفات قال: «**هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيه**»، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ أي: حديث: «**أن الله يضع قدمه على النار**»، إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟ قلنا: لا نفسِّر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسرها؛ الكيفية، إذا وُجد من يقول: كيف وضع قدمه؛ يقول: هذا لا نفسره، ولا نعلم أحدًا من السلف فسَّره، فنص على أن المنهي عنه هو تفسير الكيفية.

أيضًا مما ورد عن السلف رحمهم الله تعالى وله ارتباط كبير بما نحن فيه؛ قول شريك، أنا قلت: إنَّه قول وكيع، لا، هو قول شريك، الذي رواه اللالكائي، قال: «**إنما جاءنا بهذه الأحاديث** -أي: أحاديث الصفات- **من جاءنا بالسنن عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الصلاة والصيام والزكاة والحج**»، أي: كيف تقبلون الأحاديث الواردة في الصوم والزكاة والحج؟ وتردون الأحاديث الواردة في صفات الله؟ مع أن الذين رووا هذه الأحاديث هم الذين رووا هذه الأحاديث؟!! وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث، الأحاديث تعرِّفك ربك سبحانه وتعالى، فإذا تعرض لها أحد بالطعن، وأن معناها غير واضح، وأنها لا يعرف مجرد معناها، يقول: هي التي عرفتنا بالله أصلًا، يقول شريك: «**عرفنا الله بهذه الصفات**»، فهذه الأحاديث التي عرفنا بها الله عَزَّوَجَلَّ كيف لا معنى لها؟ كيف نعرف الله عَزَّوَجَلَّ وهي لا معنى لها؟!! نقول: عرفنا الله بهذه الصفات.

نختم بكلام قوام السنة الأصبهاني، قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خيار الشافعية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو سيد

الشافعية في زمانه، وكان شديدًا على الأشاعرة، الآن يقولون: كل شافعي أشعري؛ كذبتم، كيف كل شافعي أشعري؟!! ما علاقة الشافعي بالأشعري؟ الشافعي قبل الأشعري بمُدَدٍ، وعدد من أئمة الشافعية رحمهم الله أنكروا على الأشعري وعلي الأشعرية، ومنهم الإمام الجليل قِوَام -وليس قوَّام- السنة، بعضهم يسميه: قوَّام، حتى في الكتاب مكتوب: قوَّام، السنة لا يقوِّمها أحد، هي التي تقوِّم الناس، اسمه: قِوَام، أي: لقِّب بـ «**قوام السنة الأصبهاني الشافعي**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نختم بكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا الموضع الذي طال، لكن حتى يتضح، أهم موضعين في اللُّمعة بحاجة إلى بيان.

قال قوام السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فصل: قال أهل السنة: «الإيمان بقوله تعالى:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] **واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة، قالوا: وهو من الآيات المتشابهات** -انتبه لكلمة: المتشابهات، كيف سيأتي توضيحها- **التي ذكرها الله في كتابه، وردَّ علم تأويلها** -أي: علم تفسيرها- **إلى نفسه، وقال:** ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧] -هذا الكلام مثل كلام مَن؟ مثل كلام ابن قدامة بالضبط، هو قبل ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، **فأوجب الإيمان بقوله:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، **وبالآيات التي تضارع هذه الآية، ومدح الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بمثل هذه الآيات ولا يخوضون** -لاحظ- **في علم كيفيتها** -هذا معنى قوله، لاحظ، أول الكلام هذا قد يفرح به المفوضة، لكن عاد وبينه ووضحه، لهذا قلنا: كلام العالم يرد بعضه إلى بعض-، **ولهذا قال مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»**.

ثم تكلم عن الاستواء: «**تقول العرب: استوى الشيء؛ إذا كان معوجًّا فذهب عوجُهُ، ومنه الاستواء بمعنى: المماثلة والمشابهة، ومنه الاستواء بمعنى: القصد**»، لا يزال يتكلم عنه من الناحية اللغوية.

ثم قال -ما نصه-: «**قال أهل السنة: الاستواء هو العلو، قال الله:** ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون:٢٨] ، **وليس للاستواء في كلام العرب معنًى إلَّا ما ذكرنا، وإذا لم يجز الأوجه الثلاثة التي ذكرها؛ لم يبق إلا الاستواء الذي هو** -لاحظ كلامه- **معلوم كونه، مجهول كيفيته** -أي: معلوم معناه، وكونه حقًّا، مجهول كيفيته-، **واستواء نوح على السفينة معلوم كونه، معلوم كيفيته، تقول: استواء نوح؛** ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ﴾ [هود:٤٤]، **معلوم كونه، معلوم كيفيته؛ لأنه صفة له؛ أي: لنوح، وصفات المخلوقين معلومة كيفيتها، واستواء الله على العرش غير معلوم كيفيته؛ لأن المخلوق لا يعلم كيفية صفات الخالق،**

لأنه غيب، فثبت -ختم بالعبارة العظيمة هذه- **أن الاستواء معلوم، والمعلوم بكيفيته معدوم** -بالدال، من العدم-؛ **فعلمه موكول إلى الله، كما قال:** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، **وكذلك القول فيما يضارع هذه الصفات مثل قوله:** ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] ، **وقوله:** ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] ، **وحديث:** «**حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ**»، **وحديث:** «**يَضَعُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، والأَرَاضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ**»، **وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبره متدبر ولم يتعصب؛ بان له صحة ذلك، وأن الإيمان به واجب، وأن البحث عن كيفية ذلك باطل**».

كلام كأنه الشمس في الوضوح، أن المنفي هو الكيفية، وأما المعنى فإنه معلوم، يقول: أمَّا العبد فاستوائه معلوم معناه، ومعلومة كيفيته، ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ﴾ [هود:٤٤] ؛ سفينة نوح، يقول: هذا مخلوق، نعلم المعنى، ونعلم الكيفية، أمَّا استواء الله، فأعطاك المعاني الثلاثة لكلمة استوى، ثم قال: إن استواء الله معلوم كونه؛ أي: معلوم أنه حق، مفهوم المعنى، مجهول كيفيته، هذا هو الذي لا شك فيه، وأنه هو المراد، وأن السلف رحمهم الله تعالى إذا تكلموا عن نفي المعنى أو عن نفي التفسير؛ فإن مرادهم نفي التفسير المحدث، الذي أحدثته الجهمية، كما وضح ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**الفتوى الحموية**»، لأنهم أحدثوا تفسيرًا، كما قال الترمذي: ففسَّروا بغير تفسير السلف، أمَّا إذا قال قائل: لا، السلف لا يفسِّرون، ومذهبهم هو التفويض؛ نقول: إن كنت صادقًا نأتيك بتفسير ابن أبي حاتم يروي بالسند، ابن جرير، ونأتيك بكتب الاعتقاد المسندة؛ كتاب اللالكائي، كتاب الآجري، وننظر نحن وإياك بهدوء وراحة، فسَّروا الرحمن الرحيم أو لا؟ فسَّرهم ابن عباس، بدءًا بقوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ تَنزِيلُ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [-٢]، انظر -الآن- تفسير ابن عباس، حتى قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] ، كلها تفاسير، من أول الفاتحة إلى سورة الناس، كيف تقول: إن مذهب السلف هو التفويض، التفويض ما معناه عندك؟ قال: ألَّا أتعرض لها بتفسير، لماذا فسَّروا؟ فسَّروا التفسير الصحيح، هل فسَّر النبي ﷺ ؟ فسَّر النبي ﷺ الصفات بنفسه للصحابة رضي الله عنهم.

إذًا قولهم: «**بلا تفسير**» كلمة فيها إجمال، وهكذا قولهم: «**بلا معنى**» كلمة فيها إجمال، إذا علمت الوضع الذي نشأت فيه الجهمية، وأنهم أنشئوا تفسيرًا محدثًا، وأن السلف أنكروه، لهذا -مباشرة- الإمام أحمد لمَّا قال الجهمي للغلام: إن لهذا الحديث تفسيرًا، فورا قال الإمام أحمد: هذا جهمي، كيف تحكم

بهذا؟ يمكن قد يفسِّر تفسيرًا صحيحًا؛ نقول: أبدًا؛ لأنه لو كان سيفسِّر التفسير الصحيح لأبقى الغلام العربي الذي يفهم اللفظ على ظاهره، ما التفت إلى قائله: إنَّ لهذا تفسيرً.

فمجمل هذا الكلام، اليوم الحقيقة أنها أشبه ما تكون بمحاضرة، كأنها محاضرة في الأسماء والصفات، متعلقة بهذه المقدمة، لأن بعض أهل العلم الأفاضل -الشيخ محمد إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال: إن هذه الكلمة من ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها شيء من مقالة المفوضة، ثم قال: وهو من أبعد الناس عن المفوضة، أي: كأنه يقول: إنها زلة لسان، والواقع أن الأمر كما رأيت، أن هذه الكلمة من ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها نظائر في كلام الإمام أحمد، ولها نظائر في كلام السلف، وإذا رُدَّ الكلام بعضه إلى بعض اتَّضح وتجلى، وتبين مرادهم بهذا، ولهذا -الحقيقة- من أجل من وضَّح هذه المسألة الإمام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه، وهناك رسالة عظيمة جدًّا اسمها: «**المرَّاكشية**» نسبة إلى البلد في المغرب، من أوسع ما تعرَّض ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه المسألة من عدة وجوه جلية واضحة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كذلك ابن القيم في «**الصواعق المرسلة**» ممَّا يتبين به أن هذه المقالات التي يأخذها أهل البدع، مثل: كلمة: «**بلا معنى**»، «**بلا تفسير**»، ونحو ذلك، ثم يقول: هذه دالة على التفويض، أنها من أدل الأدلة على بطلان ما يقول.

هذا أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قال: «**بلا تفسير**»، صاحبه لما أُتِيَ له برجل من الجهمية حبسه القاضي -كان قاضيًا- صاحب أبي يوسف، أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان قاضيًا، لكن هذا صاحبه -نسيت الآن اسمه-، حبس أحد الجهمية لأنه أنكر أن الله في السماء، فقالوا له: إنه قد تاب، قال: هاتوه، فلما أتوا به، قال: الحمد لله على التوبة، تقرُّ أن الله تعالى في السماء بائن من خلقه، قال: أقرُّ أن الله في السماء ولا أدري ما بائن من خلقه؟ قال: ردوه إلى السجن فإنه لم يتب، يقول: ما دام لا يقر أن الله بائن من خلقه؛ فهو جهمي، لا يزال على جهميته.

فالحاصل أن هذه النصوص وهذه الكلمات ينبغي أن يجمع بعضها إلى بعض، وأن يفسر كلام العالم بعضه إلى بعضه، لأننا رجعنا إلى كتاب «**ذم التأويل**»، ولكتاب «**إثبات العلو**» لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتجلَّى مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا، فالعلماء قد يكون في أثناء كلامهم شيء من الإطلاقات التي يجد صاحب الهوى وصاحب الباطل فيها مدخلًا، وهذا وجدوه، وبيَّنه الله تعالى حتى في كلامه: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]

قال أهل العلم: من حكمة الله عَزَّوَجَلَّ في وجود الآيات المتشابهات ماذا؟ أن يتبين أهل الزيغ، صاحب الزيغ -مباشرة- يتجه للمتشابه ويترك المحكم، ولذا قال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمَّا قرأ الآية: «**فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»، إذا رأيت إنسانًا يتبع المتشابه ويترك النصوص العظيمة الواردة محكمةً بينةً جليَّةً، لأجل نص متشابه إذَا رُدَّ إلى المحكم تبيَّن، لكنه يستمسك بهذا المتشابه ويترك المحكم؛ فهذا دال على أنه من أهل الزيغ، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٧]، هم الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، فالحاصل أن هذا فيه -إن شاء الله تعالى- ما يجلِّي كلام هؤلاء الأئمة رحمهم الله.

۞ قال المصنف: «قَالَ ٱلْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ ٱلشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ آمَنْتُ بِٱللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ ٱللهِ عَلَى مُرَادِ ٱللهُ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ ٱللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ، عَلَى مُرَادِ رَسُولِ ٱللهِ، وَعَلَى هَذَا دَرَجَ ٱلسَّلَفُ، وَأَئِمَّةُ ٱلْخَلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى ٱلْإِقْرَارِ، وَٱلْإِمْرَارِ، وَٱلْإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنْ ٱلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ ٱللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ».

كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -أيضا- جلي؛ أنَّا نؤمن بالله، وبما جاء عن الله، على المراد الذي أراده الله، وهل مراد الله بيِّنٌ؟ نعم، بينته نصوص القرآن، بينه النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بينه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فبيَّنوا لنا مراد الله، وآمنت برسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبما جاء عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، على مراد رسول الله، وقد أجاد في شرح هذا الأثر شيخ الإسلام في «**الرسالة المدنية**»، لأن -أيضا- أهل التفويض يستدلون به، وبيَّن أن كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا شك فيه ولا ريب، نعم نؤمن بما جاء عن الله على مراد الله، أجل، أنؤمن به على مراد غير الله؟!! نؤمن به على مراد الله، ولهذا جاء عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما ذكر ضحك الله، قال صحابي: يا رسول الله! أو يضحك ربنا؟ قال: «**نعم**»، قال: لن نعدم خيرًا من رب يضحك، ما أنكر عليه، قال: نعم، حتى أن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ركب مرة على دابة فضحك، فقال: ألا تسألني لم ضحكت؟ فسأله؟ قال: «**مِنْ ضَحِكِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**».

إذًا هذه الصفات في أصلها واضحة المعنى، إذا جئنا للكيفية لا، كيفية صفات الله عَزَّوَجَلَّ خاصة به تعالى، أمَّا معناه؛ أنَّ هذا الصحابي مباشرة قال: لن خيرًا من رب يضحك، هذا الرب الجبار الذي قد أحاط بكل شيء علمًا، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣]، الجميع عبيد

عنده، يضحك، قال: إذًا لن نعدم من رب يضحك خيرًا.

فالحاصل أن هذه الصفات بيِّنة جلية المعنى، وهذا الذي درج عليه السلف ﷺ، أمَّا أمر التأويل الذي هو التحريف -تحريف معناه-؛ فلا شك أنه إنما أتى على يد الجهمية ومن شايعهم.

قال المصنف: «وَقَدْ أُمِرْنَا بِالِاقْتِفَاءِ لِآثَارِهِمْ، وَالِاهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ، وَحُذِّرْنَا اَلْمُحْدَثَاتِ، وَأُخْبِرْنَا أَنَّهَا مِنْ اَلضَّلَالَاتِ، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ اَلْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ اَلْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

لا شك أن هذه الفرق الضالة كلها من المحدثات، وأنها مجموعة من البدع والضلالات، من جهمية، من معتزلة، من مرجئة. من كُلابية، وما تفرع عنها من أشعرية، وماتريدية، وأمثالها، لا شك أنها محدثة، ولهذا تجدها جاءت بعض الصحابة ﷺ، فالبدع الكبار وُجدت في زمن كبار الصحابة ﷺ؛ وُجد بدعتان: بدعة الخوارج، وبدعة الشيعة، في وقت واحد، في زمن كبار الصحابة ﷺ، وعُلم ما فعل علي ﷺ بالخوارج، وما فعل بالرافضة -أيضا- الذين قالوا: إنك ربنا، فأباد الخوارج في النهروان وغيرها، وأباد الذين قالوا بهذا القول الخبيث فيه ممَّا تقوله الشيعة -الآن- عن علي ﷺ، الآن مجموعة من الشيعة يقولون: ربنا هو علي، صريح العبارة: الذي خلقنا هو علي، بهذه العبارة الصريحة، الذي نادى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] ، هو علي!!! نسأل الله العافية، نفس مقالة السبئية السابقة، وهم الذين لم يرض علي أن يقتلهم بالسيف، بل أحرقهم حرقًا ﷺ وأرضاه، كما في صحيح البخاري أنه أحرقهم حرقًا.

كذلك البدع التي نشأت، لهذا إذا قيل للمعتزلة: مَن رأسكم؟ قالوا: واصل، الجهمية مَن رأسكم؟ قالوا: الجهم، الماتريدية مَن رأسكم؟ أبو منصور، الأشعرية مَن رأسكم؟ أبو الحسن، هؤلاء متى كانوا؟ كلهم جاءوا جميعًا بعد زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ومثل الأشعرية، والماتريدية أصلًا أتت بعد الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، فهم نشئُوا أصلًا بعد القرون المفضلة الثلاثة، كيف تعامل الصحابة ﷺ والتابعون وأهل العلم مع هذه البدع؟ تعاملوا معها التعامل الصارم الشديد حتى يوضِّحوا للأمة أنها ضلالات ملوَّنة ومنوَّعة، ولهذا قال الأوزاعي -أو غيره من السلف رحمهم الله-: «**للشيطان محجتان** -أي: طريقان- **لا يُبالي أيهما سلك العبد: إفراط، أو تفريط**»، الشيطان يهمه أنك

تكون خارجيًّا؟ أو تكون رافضيًّا؟ كله سواء عنده، المهم أن تَزِلَّ عن الصراط المستقيم، الذي قال عدو الله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٧]، فتجد ألوانًا وأنواعًا من البدع والضلالات والزيغ؛ هذا تصوف، هذا تشيع، هذا خوارج، هذا اعتزال، هذه أشعرية، هذه ماتريدية، تزيل عن ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦]، الصراط المستقيم بإجماع مَن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ هو صراط رسول الله ﷺ، هذه البدع والضلالات هل هي على صراط رسول الله ﷺ؟ تسقط بكلمة واحدة، كل هذه البدع هم أجهل الناس بسنة رسول الله ﷺ، ولا سيَّما الذين أسسوها، الذي قد يوجد في أتباعهم، لاحظ الفرق هذه، قد يوجد في أتباعهم من يكون معتنيًا بالحديث؟؟!! هاتوا الرؤوس التي أنشأت البدعة وتبعتموها، يعرفون الحديث؟ من أجهل خلق الله بالحديث، لا يفرقون بين الحديث الصحيح والموضوع، بل لا يفرقون بين الأخبار الإسرائيلية وأحاديث النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهم جهلة بهدي رسول الله ﷺ وبسنته، لذلك تكاثر عندهم هذا الضلال.

ومع ذلك تجد من يدَّعي أنه هم الذين على الحق، وأنه هم الفرقة الناجية، بل ويدعون أنهم هم أهل السنة، مع أنهم لم ينشئوا إلَّا بعد الصحابة والتابعين بفترة طويلة، لا الأشعرية -مثلًا-، ولا الماتريدية التي تدَّعي أنهم هم أهل السنة، نشئُوا كلهم في القرن الثالث، لا أبو منصور، ولا أبو الحسن، كلاهما في القرن الثالث، ومع ذلك اجتمعوا في الشيشان قبل سنوات، وقالوا: إن أهل السنة هم الأشعرية والماتريدية، فرد عليهم كل العلماء قالوا: والصحابة بذلك خرجوا عن مسمى أهل السنة، وكذلك التابعون؛ لأن صاحبكم أبا منصور، وصاحبكم أبا الحسن، كلهم بعد الصحابة والتابعين وأتباع التابعين؛ فكان هذا من عمى البصيرة الذي وقعوا فيه ولله الحمد، حين ادَّعوا ما ادَّعوا، ثم تراجعوا، وصار كل واحد منهم يتنصل من هذا البيان، يقول: لا، أنا ما كنت أقصد، أنا ما كنت حاضرًا، كيف تخرج الصحابة والتابعين من أهل السنة؟ أهل السنة رأسهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، فكيف تقول: إن الأشعرية والماتريدية هم أهل السنة، وأنت تعلم أنهم إنما نشئوا بعد الصحابة وبعد التابعين، ولهذا كان أبو محمد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الغضب على الأشعرية، الأشعرية من أكثر الفرق ذات الدعاوى، يقول لك: المسلمون خمسة وتسعون في المئة أشعرية، وأنا أحصيت خمسًا وتسعين، أكثر المسلمين لا يعرفون مذهب الأشعرية والماتريدية، ولا يدرون بتفاصيله، لو يُسأل من يعيشون في تلك البلدان: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى

ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ، هل الله يستوي على العرش؟ يقول: نعم، كيف؟ الله يقول: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ، وتقول: لي، لكن ما معنى استوى؟ معناه: استولى؟ ما يعرفون مثل هذه الأمور، فعامة المسلمين -في العموم المجمل- هم على ما يسمعون من القرآن والسنة.

❍ **فالحاصل**: أن هذه البدع والضلالات مهما نشأت، ومهما تلوَّنت، ومهما تمسكت وادَّعت لزوم مذهب السلف، ومنه الغلاة الذين -الآن- صاروا فتنة لكل مفتون، يدَّعون أنهم على طريقة السلف، بل وأنهم على طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنهم عن طريقة أحمد، وابن تيمية، وهم أبعد ما يكونون عنهم، كل هذه دعاوى، والأمور إنما تثبت بالعلم النافع المبني على ما في النصوص، وعلي ما قرَّره أهل السنة والجماعة بدءًا من الصحابة والتابعين، ومن سلك على أثرهم.

❁ **قال المصنف: «وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».**

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ كلامًا معناه : «قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، وهم علي كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كانوا فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه ما يكفي، فما فوقهم محسِّر، وما دونهم مقصِّر، لقد قصَّر عنهم قوم فجَفَوا، وتجاوزهم آخرون فغَلَوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

وقال الإمام أبو عمر الوزاعي ﷺ: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول».

ذكر هذه الآثار عن السلف كلها في تقرير لزوم ما عليه السلف، وأن الله نهانا عن الابتداع، وأنَّا قد كفينا أصلًا، لسنا بحاجة إلى أن نبتدع، الله تعالى أكمل لنا الدين، والنبي ﷺ بيَّن وبلَّغ البلاغ المبين.

ولهذا كلام عمر بن عبد العزيز كلام عظيم، يطول المقام -الحقيقة- في شرحه، أنه يقول: «**قف حيث وقف القوم**»؛ أي: السلف من قبلك، فإنهم حين وقفوا إنما وقفوا عن علم، فالإنسان قد يقف عن جهل، لا، قال: إنهم وقفوا عن علم، حينما لم يخوضوا في البدع والضلالات، وقفوا عن علم.

قوله: «**وببصر نافذ كفُّوا، وهم علي كشفها كانوا أقوى**».

هذه الضلالات.

قوله: «**وبالفضل لو كانوا فيها أحرى**».

لو كان في الدخول فيها فضل كانوا أحرى.

ثم ذكر ما يتعلق بالإحداث الذي وقع بعدهم، وأن الناس بعد السلف إمَّا مقصِّر جافٍ، وإمَّا غالٍ تجاوز حدهم، لكن –الحقيقة– بقيت كلمة عظيمة في كلام عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو جاء بها –ربما– من الخطيب في «**شرف أصحاب الحديث**»، لكنها في أبي داود في «**السنة**»، قال: فإن قلت: أين آية كذا؟ أي: جاء أحد يستدل، يقول: أنا عندي هذه البدعة عندي عليها دليل، فإن قلت: أين آية كذا؟ فقد قرءوا منه ما قرأتم، وعلموا منه ما جهلتم، يقول: إذا قلت: أنا عندي آية تدل على ما أقرِّره من بدعة، هذه الآية ألم يقرؤوها قبلك؟ قرؤوها قبلك، لكن ما الفرق؟ الفرق أنهم علموا الذي جهلته أنت، فأنت الجاهل وليسوا هم.

وهذه الحقيقة الآثار عظيمة وعزيزة، وينبغي أن تُنشر وتُبث في الناس، من كلام أبي عمرو، وكلام عمر بن عبد العزيز، وكلام ابن مسعود، ونظائرها كثيرة.

۞ **قال المصنف:** «**وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي** –هو صوابه عبد الله بن محمد الأذرمي بالذال وليس بالدال، بالمعجمة، قال العلماء: بالمعجمة أي: نقطة، وإذا قالوا: بالمهملة أي: بدون نقطة– **لرجل تكلم ببدعه ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها . قال : فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته أنت ؟ قال الرجل : فإني أقول : قد علموها . قال : أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم قال : بل وسعهم، قال : فشيء وسع رسول الله صلي الله عليه وسلم وخلفاءه، لا يسعك أنت ؟ فأنقطع الرجل، فقال الخليفة ـ وكان حاضراً ـ لا وسع الله علي من لم يسعه ما وسعهم**».

هذا الخبر جاء عن عبد الله بن محمد الأذرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتنة القول بخلق القرآن، والمناظر له هو رأس الجهمية؛ أحمد بن أبي دؤاد، والذي كانت المناظرة بين يديه هو الواثق؛ الخليفة العباسي، فناظر ابن أبي دؤاد، وقال الأذرمي: يا أمير المؤمنين هو يقصُر عن مناظرتي، فغضب الخليفة، ابن ابي دؤاد –عياذًا بالله– هو قاضي الخلافة كلها في وقته، استولى على قلوب بني العباس الثلاثة فظنوه على حدٍّ من

العلم، وهو عدو لله عَزَّوَجَلَّ، هو رأس الجهمية، هو الذي امتحن الامام أحمد وغيره، فيقول الأذرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو دون ذلك لا يستطيع أن يناظر، فغضب، قال: أبو عبد الله يعجز عن مناظرتك؟!! بدؤوا في المناظرة، قال لابن أبي دؤاد: هذه المقالة التي امتحنت الناس عليها علمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها؟ فلجهله، وقلة فهمه قال: لم يعلموها، قال: شيء لم يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي تعلمه أنت؟ قال: أَقِلْني، والمناظرة على بابها؛ أي: نعود، أنا –الآن– أخطأت، فأَقَالَهُ، قال: فإني أقول: قد علموها، قال: أوسعهم ألَّا يتكلموا بها؟ أي: ساغ لهم شرعًا ألَّا يتكلموا بها أو لا يجوز؟ أي: ففرَّطوا، قال: وسعهم، قال: شيء وسع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه لا يسعك أنت، لا وسع الله على من لم يسعه ما وسع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال الخليفة: لا وسَّع الله على من لم يسعه ما وسع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

۞ قال المصنف: «وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم، والراسخين في العلم، من تلاوة آيات الصفات، وقراءة أخبارها، وإمرارها كما جاءت؛ فلا وسع الله عليه».

الآن إذا عرفت المنهج الذي عليه السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من إثبات ما أثبت الله لنفسه، أو أثبته له رسول الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المعنى اللائق بالله وعظمته، وأنه لا يتعرض له بتكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، وأنه لا يُرَدُّ، جميع النصوص التي تكون مما سيذكره وممَّا لم يذكره قد عرفنا القاعدة فيها ،أنَّا نقرُّها على المعنى اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا نتعرض لها بردٍّ، ولا نشبهها بصفات المخلوقين، فمهما كان من النصوص التي تمر عليك في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فعندك المنهج الذي تسير عليه.

۞ قال المصنف: «فممَّا جاء من آيات الصفات قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] ، وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة:٥٤] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي ٱلْكُفَّارِ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِم﴾ [المجادلة:١٤] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ [محمد:٢٨] ، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦] ».

ذكر لك هذه النصوص، مثل ما قلنا: عندك –الآن– القاعدة: أنَّ النصوص سواءً جاءت في القرآن، أو في السنة؛ فالقاعدة فيها كما ذكرنا.

❁ **قال المصنف:** «وَمِنْ السُّنَّةِ، قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، وَقَوْلُهُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»، وَقَوْلُهُ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ».

أي: كان هذا مسلمًا، وهذا كافرًا، فقتل الكافر المسلم، ثم مَنّ الله على الكافر فدخل في الإسلام لاحقًا، فاستُشهد كما استُشهد أخوه الذي قتله، فيجمعهم الله عَزَّوَجَلَّ، فيلتقي القاتل والمقتول، كلاهما شهيدان، فيضحك الله عَزَّوَجَلَّ إلى هذين، هذا قُتل في سبيل الله، وهذا قُتل في سبيل الله.

❁ **قال المصنف:** «فَهَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ الْمُحْدَثِينَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ فِي الذِّهْنِ، أَوْ خَطَرَ بِالْبَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِخِلَافِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ».

عاد بعد ذلك لتقرير المسألة من جديد، فإن هذا ممَّا سمعت من النصوص.

قوله: «فَهَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ».

عاد من جديد للتأكيد على الظاهر، ثم نهى عن التشبيه وعن غيره.

قوله: «وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ فِي الذِّهْنِ».

لا يجوز –قطعًا– أن يتخيل الله سبحانه، عياذًا بالله، هذا لا يجوز، التفكر في الله محرم، تفكروا في آلاء الله في خلق الله، ولا تفكروا في الله، الله لا يجوز التفكر فيه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يعلم بفكر

ولا بتوهم.

قوله: «وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ فِي اَلذِّهْنِ».

مع ذلك لو أن أحدًا -عياذًا بالله- فعل هذا؛ نقول: كلُّ ما تخيَّلته، أو خطر ببالك؛ فالله بخلافه، لماذا؟ لأن الله ليس كمثله شيء، ثم أورد الآية المتعلقة بالاستواء: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ، واصل الآيات هذه حتى نقف عندها.

قال المصنف: «وَقَوْلُ اَلنَّبِيِّ ﷺ «رَبُّنَا اَللهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ اِسْمُكَ»، وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اَللهُ؟ قَالَتْ: فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: اِعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا مِنْ اَلْأَئِمَّةِ، وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: « كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ: سَبْعَةً، سِتَّةً فِي اَلْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: فَاتْرُكْ اَلسِّتَّةَ، وَاعْبُدْ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ»، فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ اَلنَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»، وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء».

الزعم كثيرًا ما يُطلق على سبيل الذم، لكن يُطلق الزعم بمعنى: القول، ينبغي يلاحظ هذا، لهذا أبو هريرة تجده يقول: هكذا أزعم؛ أي: أقول، بل جاء عن النبي ﷺ قال: هكذا زعم جبريل، أي: هكذا قال جبريل، كما قال النبي ﷺ : «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»، لكن قد يطلق الزعم على القول العادي، فهذا منه، يزعمون: أي: يقولون: إن إلههم في السماء.

قال المصنف: «إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةَ كَذَا وَكَذَا، وَذَكَرَ اَلْخَبَرَ إِلَى قَوْلِهِ: «وَفَوْقَ ذَلِكَ اَلْعَرْشُ، وَاَللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ اَلسَّلَفُ رَحِمَهُمْ اَللهُ عَلَى نَقْلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّه، وَلَا تَأْوِيلِهُ، وَلَا تَشْبِيهِهِ، وَلَا تَمْثِيلِهِ».

نقف عند هذا، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية الدرس الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

○ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

۞ **قال المصنف:** «سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ».

تقدم ذكر هذا الأثر، وهو أثر ثابت عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وله أكثر من لفظ، من ألفاظه أنه قال: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ»؛ أي: لا يجهله أحد يفهم العربية، وفي اللفظ الثاني: «الِاسْتِوَاءُ معلوم»؛ أي: معلوم معناه، «وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَجْهُولٍ»، وفي اللفظ الذي معنا هذا: «وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ»، لا يمكن أن يعرف لا بعقل ولا بوهم، «وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»، وإنما أمر به فأُخرج؛ لأن السؤال عن الكيفية ابتداع وضلال.

جاء في بعض الروايات: أن الرجل قال: والله لقد سألت عن هذا كذا وكذا من الناس فما أجابني أحدٌ كما أجبت، فصار مالك في قوله في لفظ آخر: «**وما أُراك إلا رجلَ سوء**»، أي: كان يمضي بين الناس ويسأل هذا السؤال، لهذا أمر أن يُخرج من المسجد؛ لأنه لا يسأل استفهامًا، ويسأل عن ما لا يجوز السؤال عنه ممَّا لا يحيط به إلَّا الله من الكيفية.

۞ **قال المصنف:** «فَصْلٌ: مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى الْكَلَامُ، وَمِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ،

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١﴾ [طه:١١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ»، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَنَّهُ قَالَ: «يَحْشُرُ اللهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، أَنَا الْمُلْكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»، رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً رَأَى النَّارَ، فَهَالَتْهُ فَفَزِعَ مِنْهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا مُوسَى، فَأَجَابَ سَرِيعًا اِسْتِئْنَاسًا بِالصَّوْتِ فَقَالَ: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ، وَلَا أَرَى مَكَانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي الا لله تعالى، قال: كذلك أنت يا إلهى، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامى يا موسى».

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة الكلام، وصفة الكلام ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، وكل هذه الشرائع تكلم الله عَزَّوَجَلَّ بما شاء من أوامره ونواهيه، وهي منسوبة لله، القرآن كلام الله؛ لأن الله تعالى تكلم به ابتداءً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، المقصود بكلام الله: القرآن، ولم يكن عند المسلمين أدنى تشكُّك في أن القرآن كلام الله، وهل يوجد عاقل يقول: إن القرآن ليس كلام الله، ليس هناك أحدٌ إلا إذا كان كافرًا، والكافر كالأنعام كما قال تعالى، لكن أن يوجد مسلم يشهد شهادتين يقول: القرآن ليس كلام الله، هذا من العجائب، ولهذا قال السلف: إن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] دليل على مَن؟ ممَّن يسمع، الكلام في القرآن المذاهب الضالة فيه كثيرة الحقيقة.

نشأت بدعة القول في القرآن قديمًا على يد الجعد بن درهم، والجعد بن درهم هو شيخ الجهم بن صفوان صاحب الفرقة الضالة الجهمية، وزعم أن الله لم يكلم موسى، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، كان ينفي الصفات، وكان هذا في زمن متقدم في القرن الأول، لم يُطِق الناس إلا قتله وقُتل، وأقر أهل العلم

قتله على هذا؛ لأنه ينفي ما أثبت الله، قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أجمعت الأمة على أن أول من قال: القرآن مخلوق هو الجعد بن درهم، الجعد بن درهم هو شيخ للجهم بن صفوان، وهو رجل نشأ في بلدة تسمى: حرَّان**»، وحرَّان هذه كان فيها جملة من الصابئة، والقائلين بمقالات الفلاسفة، ومذهبهم مذهب خبيث في الصفات، فنشأ في هذا المحيط السيئ، فالتفَّ حوله جملة من أهل الضلال من أمثاله، تجدهم في كتب الملل باسم: الجَعْدِيَّة، منسوبون إلى الجعد، ومنهم: تلميذه الجهم، لكن الجهم تفوق عليه في الشهرة والسوء؛ لأن الجعد قُتل مباشرة، بعدها تلقى هذه المقالة الخبيثة الجهم بن صفوان، وصار ينفي من صفات كما ينفيها شيخه شيخ السوء، ولهذا السلف يقولون لمن نفى الصفات كلها أو بعضها: جهمي، مباشرة، لماذا؟ لأن هذه المقالة نشأت من الجعد ومن صاحبه الجهم، فصاروا ينسبون إلى هذا الرجل الخبيث كل من نفى الصفات أو بعضها، من ذلك صفة الكلام، فإن القرآن كلام الله، ولهذا له أحكام: لا يجوز أن يقرأه الجنب، لا يجوز أن يمس المصحف إلا طاهر، لماذا؟ لأنه كلام الله، ولا تكون هذه الأحكام في غير القرآن، لأن كلام الله ليس ككلام المخلوقين، ومع ذلك أتى من يقول في القرآن بالقول الخبيث، سواء من الجهمية، أو المعتزلة، أو ممَّن خَلَفهم من الكُلَّابية، الكُلَّابية: أتباع عبد الله بن سعيد بن القطان بن كُلَّاب، هذا الرجل جاء ليتوسط بين السلف وبين الجهمية، فصار يقرُّ بعض الصفات وينفي بعضها، وعنه تلقى أبو الحسن الأشعري، انتشر واشتهر قول الأشعري حتى فاق قول ابن كُلَّاب، وإلَّا قول الأشعري هو قول ابن كُلَّاب، ومثل ما ذكرنا: الجهم بن صفوان فاق شيخه الجعد بن درهم، فصار المنسوب إليه الجهمي، ولا يقولون: الجعدي؛ لأنه لم يمكث إلا مدة ثم قُتل، وهذه من حسنات بني أمية، بنو أمية لهم حسنات ولهم سيئات، من أحسن حسناتهم: أنهم ما يتركون صاحب الضلالة يبقى، فقتلوا الجعد، وقتلوا تلميذه: الجهم، وقتلوا معبدًا الجُهني، وكذلك غيلان الدمشقي، وجملة من أهل الضلال، ساعة ينبغ الواحد منهم يتتبعونه، وكان هذا بإقرار أهل العلم رحمهم الله تعالى.

القرآن كلام الله، الله تعالى هو الذي تكلم به، والقرآن حروف وأصوات، فتكلم الله تعالى به، فسمعه جبريل، جبريل مهمته هي البلاغ، ولهذا سماه الله تعالى: بالأمين؛ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣]، أمين على ماذا؟ على هذا الوحي، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥]، فهو مجرد مبلغ، محمد ﷺ -أيضا- مبلغ، يبلغ كلام الله، فالله هو الذي قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، هو الذي قال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢]، فهو كلام

الله بحروفه ومعانيه، هذا الذي درج عليه أهل الإسلام، وهو الذي ينسبونه في عقيدتهم، لهذا أبى الكفار الإقرار بهذا، لأنهم يقولون: أنت يا محمد هذا الأمر أنشأته؛ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] ، ويزعمون أن هذا ليس من عند الله عَزَّوَجَلَّ، المسلمون متفقون على أن القرآن كلام الله، أنزله جبريل على نبينا ﷺ ، مهمة جبريل إبلاغ رسول الله ﷺ ، أو مهمة رسول الله ﷺ إبلاغ الناس، يبلغ ماذا؟ يبلغ كلام الله، لهذا قال: «أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ».

قوله هنا: «قَدِيمٌ»؛ أصل الكلام صفة قديمة، أمَّا آحادة فمتجددة، أي: الله تعالى لم يكن –حاشاه تعالى– عادمًا لصفة الكلام ثم اتَّصف بها؛ لأن أصل الصفة قديم، أمَّا آحادها فمتجدد، فكلم الله موسى، وقبله كلم آدم، وكلم بعد موسى محمدا –صلى الله عليهم جميعًا وسلم، وعلي سائر الأنبياء والمرسلين– لمَّا عرج به، ويكلم من شاء من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما يكلم الملائكة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم أهل النار، كما نصوص القرآن، فهو يتكلم بما شاء، فأصل الصفة قديم، أمَّا آحادها –حين كلم موسى– فهو المتجدد.

ولهذا قال المصنف هنا لأن كلمة: «أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ»، الحقيقة أنه قد يطلقها من يكون سنيًّا، وقد يطلقها –أيضا– من يكونون على طريقة السَّالمية، وأمثالهم، لكن قوله هنا: «يَسْمَعْهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ»، يدل على أنه يرى أن آحاده متجدد، لهذا قال: «سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ»، فسماع موسى من آحاد كلام الله، أمَّا أصل الكلام فقديم، أصل الصفة قديم.

قوله: «يَسْمَعْهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ»؛ مباشرة، نزول الزكاة –مثلًا–، والحج، والصوم، نزل بها جبريل من عند الله عَزَّوَجَلَّ، لعظم قدر الصلاة شاء الله تعالى أن يُعرج برسوله ﷺ ، وأن يفرض عليه الصلوات الخمس مباشرة منه إليه تعالى، فسمع محمد ﷺ كلام الله في المعراج لما عُرج به، وأمره تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالصلوات خمسين، إلى أن جعلها تعالى خمسًا، ولهذا قال: «وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ»، ثم ذكر الآيات، وأن المؤمنين يكلمون الله في الآخرة، نسأل الله الكريم من فضله، وأنهم يزورونه تعالى –أيضا–، ويرونه، وذكر الآيات، منها: اصطفاء الله تعالى موسى برسالاته وبكلامه، وأن الله تعالى قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] ، قوله: «تَكْلِيمًا» هذا مصدر يُثبت الكلام، ولهذا كانت هذه الآية الشديدة

على المعتزلة، وعلى النُّفاة، وهكذا الآيات التي أورد، ثم قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]، يقول: يستحيل أن يقول هذا إلا الله، يستحيل أن يقول محمد: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، يقول: لا يمكن أن يقولها، ولا جبريل يقول، لا يمكن أن يقوله إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي قاله، وجبريل سمع كلام الله، وبلغه محمدًا عليهما الصلاة والسلام.

ثم أورد حديث: «إِذَا تَكَلَّمَ اَللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ اَلسَّمَاءِ»، وفيه: أن السماوات تأخذها وجبة عظيمة من سماع كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأكَّد الحديث: أن الله تعالى يحشر الخلائق يوم القيامة على هذا الحال؛ من كونهم: حفاة، عراة، غُرلًا، بُهما؛ أي: ليس بأيديهم شيء، والأَغْرَلُ: هو الذي لم يختتن، يعود الإنسان كما خلقه الله، حتى الختان الذي خُتن يعود، تعود تلك القطعة، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، يعود الإنسان على حقيقته، وعلي وضعه.

قوله: «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ».

أي: الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لأن صوت الله ليس كصوت المخلوقين، صار كما سمعت.

قوله: «يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ».

فصفات الله لا تقاس، يسمع صوت الله تعالى البعيد كما أن القريب يسمعه بنفس المستوى؛ لأن صفات الله تعالى لا تقاس.

قوله: «أَنَا اَلْمُلْكُ، أَنَا اَلدَّيَّانُ».

ثم ذكر الخبر هذا، لعله في بعض الأخبار الإسرائيلية، وعلى كل حال العمدة في الإثبات على النصوص الثابتة من كلام الله، وكلام نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال المصنف: «فَصْلٌ: وَمِنْ كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ اَلْقُرْآنُ اَلْعَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ اَلْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ اَلْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ اَلْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ اَلْمُرْسَلِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي اَلصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي اَلْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]».

لما كان الكلام عن صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، القرآن هو من كلام الله، فالله عَزَّوَجَلَّ تكلم بالتوراة، وتكلم بالإنجيل سبحانه، ويتكلم بما شاء من الكلام، من كلام الله تعالى: القرآن، وهو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ كما بينه: «وَهُوَ حَبْلُهُ اَلْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ اَلْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ اَلْمُرْسَلِينَ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، ردًّا على المعتزلة قاتلهم الله، الذين يقولون: إن القرآن مخلوق، قد أجمع أهل السنة على أن من قال: إن القرآن مخلوق؛ فإنه كافر، وهذه المسألة كثير من المتأخرين لا يفهمون وجه تشديد أهل السنة فيها، حتى قرأنا لبعضهم نوع نقدٍ للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لماذا يقف هذا الموقف الشديد، ويقاوم هذه المقاومة، وهو رجل رَحِمَهُ ٱللَّهُ سامعٌ مطيع، معلوم أنه ليس إلا من أهل السمع والطاعة، كان في زمن بني العباس، يسمع لهم ويطيع، وكلامه واضح في السمع والطاعة لهم، لمَّا جاءت هذه المسألة وقف هذا الموقف الصارم القوي، وتحمَّل السجن، وتحمَّل التعذيب، يقولون: لماذا يفعل مثل هذا كله؟ لأنك ما فهمت ما الذي سيترتب عليه، المعتزلة -أخزاهم الله- يزعمون أن الله تعالى ليس له صفات، ثم إنه خلق صفات له -عياذًا بالله-، والقول بأن الله خلق لنفسه صفات أمر بالغ الخطورة، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]، فإذًا قيل: في صفات الله ما هو مخلوق، وهكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل:٢٠]، فأبطل الله عبادة هؤلاء بكونهم يُخلقون، فإذا قيل: والله تعالى صفاته مخلوقة أيضا؛ بطل عليك ماذا؟ أصل عبادة الله، أصل العبادة، أصل عبادة الله أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الغني الحميد، وما سواه مخلوقه وهو الخالق، وأبطل الله تعالى عبادة من سواه بكونهم يُخلقون ولا يَخلقون، فإذا قيل في صفات الله تعالى: أنه

مخلوق؛ سمعه، بصره، وأنه لم يكن له سمع وبصر فخلق له السمع والبصر، قال أهل السنة: هذا الكفر الصراح الذي لا شك فيه، وهذا محل إجماع، وهو الذي أراده اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

ولقد تقلَّد كفرَهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدان

واللَّالكائيُّ الإمامُ حكاهُ عنـــهُمْ بل حكاه قبله الطبراني

اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع حكى عن أكثر من خمسمائة من علماء الأمة: أن من قال: إن القرآن مخلوق؛ فهو كافر، ووقف الإمام أحمد هذا الموقف، ووقف علماء السنة، عدد من علماء السنة وقفوا، منهم من قُتل رحمهم الله، ومنهم من مات في السجن، ومنهم من استمر على قوله حتى أُخرج لما جاء زمن المتوكل رحمة الله تعالى عليه، منهم من رأى تحت آداب بني العباس أن الله تعالى قد جعل له الرخصة في أن يُقرَّ لهم في الظاهر، وقلبه مطمئن بالإيمان، ولم يعتقدوا أن الكلمة كلمة كفر، قال: لكن الله تعالى استثنى المكره، الإمام أحمد أبى، وقيل له: يا أبا عبد الله إن عُرضت على السيف ترجع؟ قال: لا، لأنه إمام، ولهذا جاء عن بعض أهل العلم الذين ثبتوا قال: أخشى إن طاوعتهم أن يضل الناس، أن يقول الناس: هذا اتضح الآن، الإمام أحمد ها هو يقوله الآن، وغيره من علماء السنة، وهذا وجه ثباتهم، ولذا أهل السنة ليس يتعشَّقون للصدامات مع الحكام، لا يفرحون بهذا، لكن إذا ابتُلوا؛ فإنهم يصبرون، ويُبقون –أيضا– على الولاية، تبقى الولاية، لكن الحق يُقال، كما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث عبادة: بايعنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأن نقوم بالحق لا نخاف في الله لومة لائم، هذا مرادهم، ونحن –الآن– على السمع والطاعة، لكن هذه المسألة مسألة كفر، وليست مسألة من مسائل الخلاف التي يمكن أن يقال: إذا اختار الحاكم فيها قولًا فاختيار الحاكم يرفع الخلاف في المسائل الفقهية، هذه ليست مسألة خلاف فقهي، هذه مسألة كفر أو إيمان، هكذا يعتقد أهل السنة، ولهذا كان موقفهم ممَّن قال: إن القرآن مخلوق منطلق من هذا الموضع، المتأخرون ما فهموا السبب، واجترؤا على مقام إمام جليل كالإمام أحمد، قال: ما الحاجة؟ المسألة مسألة من المسائل التي كان ينبغي أن يُعرض عنها، كيف يُعرض عنها؟!! أصلًا هي التي أتت إليه، ولم يأت إليها، هو الذي ابتُلي بها.

❍ **الأمر الثاني:** كيف يجعل الأمة تضل وهو يراها، ويُطلب منه أن يقول بهذا، طُلب منه، أتاه خطاب المأمون وغيره، طُلب منه أن يقول بهذه الكلمة فأبى، ورفض هذه المقالة، هذه المقالة مقالة خبيثة جدًّا،

وهي تدل على سذاجة اعتقاد المعتزلة، المعتزلة يظنون أنهم ينزهون الله بهذا، كيف تنزه الله بأمر لو قُرِّرَ تقريرك؛ لطعن في استحقاق الله تعالى للعبادة، الله طعن في استحقاق هذه المخلوقات للعبادة، تكون هي مخلوقة، قال: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:١٧] ، لهذا قال أهل السنة: هذه المقالة كفر لا شك فيها، فالقرآن ينزل من عند الله غير مخلوق.

قوله: «مِنْهُ بَدَأَ».

الله تعالى هو الذي تكلم به كما قلنا، هو الذي قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] ، ابتدأ.

قوله: «وَإِلَيْهِ يَعُودُ».

وهذا -والعياذ بالله- في آخر الزمان يُسرى على القرآن، فلا يُبقى منه حرف، ويزول حتى من الصدور، ممَّن يحفظونه عياذًا بالله، فلا يبقى منه شيء في الصدور، ولا في السطور، وبذلك يعود إلى الله، فهو من الله بدأ، ابتدأه الله عَزَّوَجَلَّ، وإلى الله تعالى يعود، القرآن حروف وأصوات، كل هذا الكلام ماذا يريد به ابن قدامة؟ يريد به الرد تارة على الجهمية، وتارة على المعتزلة، وتارة بالذَّات على الأشعرية؛ لأنه في زمنهم، الأشعرية متفلسفة؛ يقولون: ليس لله عَزَّوَجَلَّ كلام إلا معنىً قائم بنفسه، فليس بحروف ولا بأصوات، جبريل فهم المعنى، وعبَّر بألفاظ وحروف عن المعنى القائم بالله، إذا قيل: هذا القرآن -الآن- الذي بين أيدينا كلام الله؟ قالوا: لا، عبارة عن كلام الله القائم بنفسه، ولهذا قلنا: إن الإمام قوام السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الذي تقدم الكلام عليه- اشتد جدًّا على الأشعرية، وهو شيخ الشافعية في زمانه، وهكذا الإمام اللالكائي -أحد كبار الشافعية- عظَّم مقالة الأشعرية هذه، ورد عليهم، وبيَّن أنها مقالة خبيثة، وهكذا الآجري، الآجري منهم يقول: إنه حنبلي، ومنهم من يقول: أنه شافعي أيضا، كلهم عظموا هذه المقالة، مقالة خطرة جدًّا؛ لأنه يقول: القرآن هذا ليس كلام الله، كلام مَن؟ قال: عبارة عن كلام الله، مَن يتكلم به؟ تارة يقولون: محمد، تارة يقولون: جبريل، لهذا بلغوا مبلغًا خبيثًا، وإن كانوا سفهاؤهم -الحقيقة- ينبغي، كانوا يقولون: القرآن ما دام أنه مخلوق، فالمصحف هذا لا كرامة له، يمكن أن يوطأ، لا شيء يستدعي، إنَّه خلق مثل السماوات والأرض، من المخلوقات، قطعًا هذا الحقيقة قول شُذَّاذهم، وقول السفهاء منهم، وفعلًا -كما ذكر ابن القيم- أنهم كانوا يطئُونه بأقدامهم عياذًا بالله، يقولون: خلق من المخلوقات، ما الذي يجعله؟ السبب هو مقالتهم الخبيثة، أن القرآن ليس كلام الله!! بلى، كلام الله

عَزَّوَجَلَّ، سواء قرأناه، أو كتبناه في الأسطر، أو تلوناه بألسنتنا، هو كلام الله، نحن نكتب كلام الله، ولهذا نُهينا عن أن نمس المصحف أصلًا، تمس وأنت مسلم، أنت طاهر، قال ﷺ: «**المُسْلِمُ لا يَنْجُسُ**»، فلا ينجس المسلم، مع ذلك إذا كنت على حدث أصغر أو أكبر؛ فليس لك أن تمس المصحف، وإذا كنت على حدث أكبر؛ فليس لك أن تقرأ قراءة، لماذا؟ لأنه كلام الله، له أحكام، كيف يقال: إن هذا القرآن العظيم ليس كلام الله؟!! فهذا أصل المسألة، وإن كنا نحن لا نحب -الحقيقة- التفصيل في عبارات أهل الضلال، لكن حتى يُعرف هذا الأمر الذي تدَّعيه الأشعرية -الآن- من أنهم أهل الهدى وأهل السنة، كيف أنتم أهل السنة؟ إذا أردت أن تعرف موقع الأشعرية: ابن كُلَّاب كان في زمن الإمام أحمد، واشتد عليه الإمام أحمد جدًّا، وعلماء السنة كلهم، حتى أن الحارث المحاسبي -وهو أحد القائلين بقول ابن كُلَّاب- اختفى في بيته ولم يستطع الخروج نهائيًّا بسبب الإمام أحمد وعلماء الأمة، ولم يخرج إلا ميِّتًا، ما استطاع أن يخرج، لما توفي خرجت جنازته، الحارث المحاسبي وابن كُلَّاب أفضل مائة مرة من اعتقاد الأشاعرة، ولا مقارنة -أصلًا- بينهم وبين الأشاعرة، فرق كبير جدًّا، فرق عظيم جدًّا من المقال، خاصة الأشعرية المتأخرين، المتفلسفة هؤلاء، كتاب المواقف للإيجي وأمثاله، أصلًا دخلت عليهم الفلسفة، ليس فقط مجرد بلايا الجهمية، ومع ذلك يزعمون أنهم أهل السنة، وأن أهل السنة الحقيقيين هم المجسمة، وهذا النفخ الشديد لأنفسهم، مع أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقف هذا الموقف العظيم من ابن كُلَّاب الذي هو أصلح منهم عقيدة، حتى قوام السنة الأصبهاني الشافعي -شيخ الشافعية في زمانه، ذكرنا قبل قليل كلامه- له موقف حتى من أبي الحسن نفسه، واشتد على أبي الحسن نفسه الأشعري، وأبو الحسن الأشعري يثبت أكثر بكثير مما تثبته الأشعرية الآن، بل ليت الأشاعرة الآن على طريقة أبي الحسن الأشعري، ومع كل هذا الضلال الذي هم فيه يزعمون أنهم هم أهل السنة، كأنهم هم الذين يهبون الناس بطاقات بأنهم من أهل السنة، من قال إنكم أصلًا أنتم من أهل السنة؟ أنتم فرقة كلامية، إذا صُنِّف الأشاعرة أنت فرقة ماذا؟ يقولون: نحن فرقة كلامية، ماذا قال السلف في الكلام؟ أنتم تنتسبون للشافعي، ماذا قال الشافعي بنفسه في المتكلمين؟ «**حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُطاف بهم في العشائر والأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام**»، هذا كلام الشافعي، هذا حكم الشافعي، وقال: «**حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ**»، صبيغ بن عِسل الذي جلده عمر وأدْمَاه، ثم تنفخون أنفسكم هذا النفخ العجيب، وتقولون: نحن أهل

السنة، وتأتون لأهل السنة المستمسكين بقول السلف التمسك الحقيقي وتزعمون أنهم مجسِّمة، ويصرح بعضهم بأنهم كفار، نفس مقالة الجهمية للسلف، نفس ما كان يقوله الجهمية، ويقوله المعتزلة.

الحاصل: أن ابن قدامة يرد كثيرا على معاصريه، وله مصنف في القرآن يرد فيه على الأشعرية تحديدًا، ولهذا ركز على هذه المسألة؛ فقال: «وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ»، الأشعرية تقول: لا، ليس حروفًا، كلام الله معنى، ليس حرفًا ولا صوتًا، ولهذا تقدم أنه قال: «إنه سمعه موسى»، ويأتي قوله –أيضا–: «مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ»، «مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرُ»؛ بداية، وله نهاية، «وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ»؛ لم يقل: لا، هو معنى ما له أجزاء، ولا له أبعاض، هذا المراد، هذه الكلمات يقصد بها الرد عليهم، لكن يطول الكلام كما قلنا لو دخلنا في تفاصيلها.

قوله: «مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَةِ».

هذا الذي نتلوه بألسنتنا ما هو؟ كلام الله.

قوله: «مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ».

هو نفس الذي تحفظه.

قوله: «مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ».

الذي سمعناه –الآن– من الإمام ما هو؟ كلام الله، الذي تسمعه مني الآن؟ لا، ليس كلام الله، كلامي هذا ليس كلام الله، كلام عبد من عباد الله، لكن الكلام الذي قُرئ في الصلاة هذا كلام الله، هناك فرق، كل أحد يدرك هذا، سواء سمعه، أو قرأه، أو كان على أي تصريف تصرَّف؛ فهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ».

لأنهم يقولون: هو معنى، لا يُسمع.

قوله: «مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ».

هو نفس القرآن المكتوب في المصاحف، ولهذا صار للمصحف أحكام خاصة.

قوله: «فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ».

تقدم الكلام.

قوله: «وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ».

الناسخ: هو الحكم الذي جاء متأخرًا وأزال حكمًا -النسخ أصله الإزالة- سابقًا.

قوله: «وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ».

يقولون: لا، ليس هناك أمر ونهي، كلام الله ليس فيه أمر ولا نهي!!! هذه النصوص -الآن- ما فيها: أقيموا الصلاة، وتحريم الخمر، ماذا تكون؟ قال: لا، هذا في الذي عبَّر به محمد، قال السلف لمتقدميهم من الجهمية: ما فرق قولكم من قول الوليد بن المغيرة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] ؟!! هو الوليد بن المغيرة قال لما سمع القرآن من النبي ﷺ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، أنتم -الآن- تقولون: هو كلام محمد، عبَّر به عن المعنى القائم بالله.

الحاصل: أن هذه المقالات الإنسان يسأل ربه العافية، ويحمد الله تعالى على أنه نشأ في سُنة، وفي هداية، وبُعد عن هذه المقالات الضالة، ولهذا -سبحان الله- كبار الأشاعرة وأساطينهم الكبار في آخر أعمارهم جميعًا: الرازي، الخسروشاهي، الجويني أبو المعالي، الشهرستاني، عدد كبير منهم، في آخر حياتهم يندمون ويعودون عمَّا قرَّرُوه في آلاف الصفحات التي كتبوها، لأنه كلام ضلال، ومخالف مخالفة عظيمة للقرآن، حتى أن الرازي في آخر كتاب صنفه -يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وابن تيمية: أنه أفضل كتاب ألَّفه، اسمه: «**أنواع اللذات**»- يقول فيه: «**لقد تأملت الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية** - أي: بعد عمر طويل أمضاه-؛ **فما وجدتها تشفي عليلًا** -أي: مريضًا-، **ولا تروي غليلًا، ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن** -يا لله العجب، بعد هذا العمر الطويل عرفت أن القرآن هو أقرب الطرق، ماذا سيكون؟ ما الذي تتصوره؟ هذا يفهمه أي عامي من عوام المسلمين، الكلام يرصونه، كلام أفلاطون، وكلام ابن سينا، يمكن يكون أقرب-، **أقرأ في الإثبات**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، **وأقرأ في النفي**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، **ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي**»، من بلغ المبلغ الذي وصلته فيما يسمى: بعلم الكلام، وليس علمًا، أهل السنة يأبون أن يسمونه: علمًا، لكنهم أطلقوا عليه أنه علم، يقول: «**من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي**»، ثم قال أبيات شعر بليغةً جدًّا جدًّا، قال فيها:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مَنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتُهَا رِجَالٌ فَزَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالُ

النصوص هذه العظيمة لا يمكن إلا أن تكون كالجبال، يعلوها أناس من الحمقى ويخالفونها، سيزول هؤلاء وستبقى النصوص.

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتُهَا رِجَالٌ فَزَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالُ

النصوص لا يمكن أن تتأثر فيما عليه، محفوظة بحفظ الله ولله الحمد، ومضبوطة، فمن ضلَّ فهو الذي يضر نفسه، الحاصل أن ابن قدامة يشير إلى هؤلاء، يبين ما عندهم من الضلال والانحراف، وأن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ حقًّا، وأنه من الله بدأ، وإلى الله تعالى يعود، وأنَّا نقرأ كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك يترتب عليه ما ذكرنا من الأحكام: لا تمس المصحف إلا وأنت على طهر، ولا تقرأ القرآن وأنت جنب، ونحو ذلك.

❁ **قال المصنف:** «وَهُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّذِي قَالَ فِيهِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ:٣١]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، فَقَالَ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩]، فَلَمَّا نَفَى اَللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا، لَمْ يُبْقِ شُبْهَةً لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ اَلْقُرْآنَ هُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّذِي هُوَ كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر».

يريد مرة أخرى الرد على الأشاعرة القائلين: بأن كلام الله معنى، وليس له حروف، وليس له أصوات.

قوله: «وَهُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ».

الذي لا يعرف أصل الخلاف، يقول: لماذا يقول ابن قدامة هذا الكلام؟ فيه احتمال أنه لا يكون القرآن؟ لأنه يريد الرد على هؤلاء، هم يقولون: ليس القرآن -هذا المصحف- كلام الله، عبارة عن كلام الله، لأن كلام الله -بزعمهم- معنىً ليس حروفًا ولا أصواتًا، كل هذا يريد به الرد عليهم.

قوله: «وَهُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْءَانِ﴾ [سبأ:٣١]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]».

لما سمعوه من النبي ﷺ زعموا أنه كلامه.

قوله: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩]، فَلَمَّا نَفَى اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا، لَمْ يُبْقِ شُبْهَةً لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر».

لمَّا سمعوه قالوا: إنه شعر، فالحاصل: أن مقصد ابن قدامة بهذا الكلام -الذي قد يكون بالنسبة لك أمرًا بديهيًّا- أنه يريد به الرد على هؤلاء المخالفين.

❁ **قال المصنف:** «﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَا يُعْقَلُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس:١٥]، فَأَثْبَتَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْآيَاتُ الَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا۟ الْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:٧٨]، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:١-٢]، افْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ».

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما: «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ».

وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ»، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ

وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ».

لاحظت؟ بعد الكلام هذا كله قال: «وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ»، أكيد حروف يا ابن قدامة، كل هذا الإجهاد لنفسك حتى تثبت أنه حروف، نعم، هو يريد الرد على من ينفون أنه بحرف، ولهذا بعض الأحيان –الحقيقة– طالب العلم قد ينتقد على العالم عبارات كأنها بديهيَّة، هو له مراد، ويتحدث عن معاصريه ممن ضلُّوا، يزعمون أن القرآن ليس بحرف ولا بصوت، فهو يريد بهذا الكلام كله الرد على هذه المقالات، لذلك أورد هذه الآيات.

قوله: قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] .

هذا التحدي، يتحداهم الله أن يأتوا بمثله، وهل يتحداهم الله بمعنى قائم في نفسه؟ لا يتحداهم إلا بأمر يزعمون هم أنهم قادرون على الإتيان بمثله، ويعرفون أنه كلام، يسمعونه، فإن كنتم تزعمون أنه من كلام محمد ﷺ ، فأنتم أصحاب لغة مثله، فأتوا بمثل ما قال، إن زعمتم أنه من كلامه.

قوله: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ﴾ [يونس:١٥] .

فأثبت أن القرآن هو الآيات، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينت، فهو آيات مضافة إلى الله، آيات الله سبحانه.

قوله: قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت:٤٩] .

لأن أهل العلم يقولون: وهو محفوظ في الصدور، هذا دليل على أنه يحفظ في الصدور، ومكتوب في السطور، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة:٧٨]؛ أي: أن يُكتب ويُحفظ، وهكذا، وذكر أن الله تعالى ذكر الحروف، والحروف المقطعة في تسع وعشرين سورة، منها ما يكون من حرف واحد مثل: صاد، ومنها ما يكون من حرفين مثل: حم، ومنها ما يكون من ثلاثة، ومنها ما يكون من أربعة، ومنهم ما يكون من خمسة، إلى آخره، المقصود أن هذه الحروف من كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

أورد الحديث هذا –يظهر أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذهب ذهنه لحديث ابن مسعود– قوله: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ،

فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

الذي يظهر أنه دخل عليه، هذا الحديث ليس بصحيح، الحديث المعروف هو قول ابن مسعود رضي الله عنه -منهم ما يقول: إنه من كلامه، ومنهم من يقول: إنه مرفوع، حتى لو قيل: إنه من كلامه؛ فإنه لا يكون من قبيل الرأي، وهو مشهور جدًّا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه-: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»، سماها أحرفًا.

قوله: وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اِقْرَءُوا اَلْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ اَلسَّهْمِ -أي: أنهم يقرؤونه قراءة دقيقة جدًّا- لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهِمْ -عياذًا بالله، التراقي: جمع الترقوة، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، هذا العاتق وثغرة النحر، هنا تكون الترقوة، عياذًا بالله نسأل الله العافية لا يجاوز مجرد ما يقرؤون، فلا ينفعهم- يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ».

وهذا فيه تحذير لمن يقرؤون القرآن أن عليهم إصلاح النية، ولهذا نحن نوصي الأئمة ألَّا يضعوا كاميرات التصوير أمامهم، خشوعك بينك وبين الله، لو أتي أحد ينظر إليك وأنت تصلي هكذا، هل أنت تتضايق؟ الخشوع بينك وبين رب العالمين، تارة تبكي، تارة يرقُّ قلبك، فكيف تجعل الكاميرا أمامك؟!! اقرءوا القرآن لله عَزَّوَجَلَّ، ودعوا عنكم مثل هذه الأمور، وإذا أردت أن تُسمع الخير يُسمع، القرآن قراءته هي المقصودة، وليس المقصود أن يُنظر وجهك وأنت تقرأ، فمثل هذه الأمور الحقيقة يُخشى على الإخلاص فيها جدًّا، نحن لا نقول: إن من فعل هذا غير مخلص، معاذ الله، لا، لكن نقول: هذا لا شك أنه قد يضر بالإخلاص.

قوله: «يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ».

هذا التعب في قراءة حروفه لهم به مقصد، يقول: «يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ»، يريدون به الدنيا، «وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»، لا يريدون به الدار الآخرة، هذا ينبه طالب العلم على ضرورة الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا ما جاء من كلامه عن السلف: من أن القرآن حروف، كما أورد عن أبي بكر وعمر، وعن علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

قوله: «وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ».

إذا قيل: كمْ سور القرآن؟ مائة وأربع عشرة سورة، كم آياته؟ اختلف العلماء في عدِّه، وسبب الاختلاف في العدِّ -ينبغي أن تنتبه-: ليس معناه: أن هذا عنده آية زائدة معاذ الله، لكن هو نهايات الآيات، مثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] ، هذه آية، عندك الآن في المصحف، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ، كان الشعبي -أو أحد السلف- يقول: لا تقف؛ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، فيعدُّها آية، هذا السبب في كونه يتفاوت، حتى الحروف؛ ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تفسيره كلام العلماء في عدد الحروف، وعدد الكلمات، أمَّا عدد السور معروفة عند الجميع.

قوله: «وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ».

لأن هناك قراءات نُسخت، فالحروف المتفق عليها والسور والآيات يُسأل عنها من ينفي أنه حرف، فيقال -مثلًا- للأشعري: لو أن أحدًا جحد هذه الكلمة: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٤] ، ما حكمه؟ يقول: كافر، هذه مسألة متفق عليها موجودة في القرآن، هذه ما هي؟ هو جحد ماذا انطِقْ؟ لا بد أن يقول: كلمة، أرأيت أنه كلمة؟ هذه الكلمة مكونة من ميم ودال وهاء، إلى آخره، أرءيت أنه حروف؟ لهذا يقول: «وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ»، أنت -الآن- إذا أتيت في كتب الفقه يا أشعري ماذا ستفعل؟ تأتي بكتاب حكم المرتد، تقول: من جحد، ماذا؟ لا بد أن تقول: كلمة، لا بد أن تقول: حرفًا، حتى توضح الحكم، وأنت تقول: إن القرآن ليس حروفًا، فلا بد أن تقول: بأنه كلمات وحروف، ولهذا قال في الأخير: «وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ»، هذا الدليل على أنه حروف.

قال المصنف: «فَصْلٌ: وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ السُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَى، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ، لَا لِلْمَرْئِيِّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ».

تكلم عن أمر رؤية المؤمنين لربهم، وأن هذه الرؤية حقيقية، هذا مرة أخرى أؤكد لك ما قلنا عن ابن قدامة، لأنه قال: «بِأَبْصَارِهِمْ»، الذين أوَّلُوا الرؤية ماذا قالوا؟ مثل المعتزلة؟ ينفون أن تكون الرؤية بالأبصار، وهكذا المتأخرون من الأشاعرة –الآن– ينفون الرؤية، مع أن أبا الحسن الأشعري يثبت الرؤية، هم وقعوا في ورطة، الرؤية تكون إلى وجه الله، فالذي يثبت الرؤية هو الذي يثبت الوجه، الأشعري يثبت الوجه، إذا قلنا: إن المتأخرين من الأشاعرة مخالفون للأشعري مخالفة صريحة واضحة، انظر كتابه «**الإبانة**» وقارنه بكتبهم المتأخرة، تجد الفرق الكبير بين الأشعري وبينهم، مع ما عند الأشعري من الإشكال، الأشعري يثبت الوجه، ولهذا أثبت الرؤية، هم لمَّا خالفوا الأشعري، وخالفوا السلف والنصوص قبله؛ نَفَوا وجه الله عَزَّوَجَلَّ، فلمَّا جاءوا إلى الرؤية كيف يثبتون الرؤية، وقد نفوا الوجه؟!!! فنفوا الوجه ونفوا الرؤية كالمعتزلة تمامًا، ولهذا مال مذهبهم في القرون المتأخرة على يد الجويني إلى قول المعتزلة، ثم مال –كما قلنا– على يد البيضاوي والرازي إلى ما هو أسوأ من قول المعتزلة؛ قول المتفلسفة هو الذي –للأسف– استقر عليه، وهو الذي عليه كتابهم «**المواقف**»، هو الذي يدرسونه –الآن– في أنحاء الأرض، أنَّهم على هذا الحال فينفون الرؤية، مع أن متقدميهم يثبتونها.

قوله: «وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ».

أي: رؤية حقيقية، وهي أعظم لذة في الجنة على الإطلاق، نسأل الله الكريم من فضله، أعظم لذة في الجنة أن ترى ربك سبحانه الذي عبدته، وأخلصت له، وصلَّيت له، وصُمت له، وقدَّمت أمره على هوى نفسك وعلي كل الناس، تراه سبحانه، فإذا نُفيت الرؤية؛ نُفي أعلى نعيم في الجنة –نعوذ بالله–.

قوله: «وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَزُورُونَهُ».

يأتونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الجنة، ويرونه رؤية حقيقية.

قوله: «وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ».

هذا يثبت أن كلام الله -أيضا- مسموع، «وَيُكَلِّمُونَهُ»، نسأل الله الكريم من فضله، اللهم اجعلنا منهم يا ربِّ، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ناضرة: بالضاد: من النضارة والبهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] : من النظر بالعين، ولهذا قال: ﴿وُجُوهٌ﴾، وهكذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] ، وهم الكفار، فلو كان المؤمنون محجوبين عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ لكان المؤمن والكافر سواء بهذا، وقد أخبر الله أنه يحتجب عن الكفار عقوبة لهم، لهذا قال الشافعي: «**فلما احتجب عن هؤلاء في السخط؛ دل على أن هؤلاء يرونهم في الرضا**»، الكلمة هذه أصلها من الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: «وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

أي: لا تحتاجون أن ينضم بعضكم إلى بعض، مثل القمر، من أراد أن ينظر فإنه لا يحتاج إلى أن ينضم، مثل الشيء الذي يحتاج الناس أن يقتربوا، وينظروا إليه، لا، القمر في الأعلى، وهذا يدل على أن رؤية الله تكون إلى الأعلى.

قوله: «وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ، لَا لِلْمَرْئِيِّ».

أي: تشبيه لرؤيتك أنت للقمر برؤيتك لربك، وليس معناه: تشبيه الله بالقمر معاذ الله.

قوله: «وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ».

وفي ضبط آخر: «لَا تُضَامُونَ»، أي: لا يصيبكم ضيم في رؤيته.

الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في الرؤية يرويها نحو من ثلاثين من الصحابة رضي الله عنهم ومع ذلك ردَّها المعتزلة، وردَّها نفاه الرؤية مثل: الأشعرية المتأخرين، مع صريح النصوص في القرآن، وصريح النصوص النبوية وكثرتها وتواترها، ولهذا هذه المسألة من مسائل الممايزة، عندنا جملة من الاعتقادات فيها ممايزه، كيف ممايزه؟ أي: من خالف فيها مباشرة فهو جهمي، أو رافضي، مثل الصحابة المخالف رافضي، مخالف في عدالتهم، الرؤية والصفات المخالف جهمي، تقول: هناك جهمية، ومعتزلة، وكلابية، السلف رضي الله عنهم يُطلقون على من خالف، ينسبونه إلى أول من اشتهر بالنفي وهو الجهم، بأنواعهم وألوانهم، مثل الشيعة الآن: تقول: هناك شيعة أصولية، شيعة إخبارية، شيعة كذا، المهم أنها

دائرة واحدة، بقطع النظر عن التلون، هذا المعنى.

فمسألة الرؤية من مسائل المميزة العظيمة جدًّا، مسألة عظيمة، ولذلك بعض المتكلمين -مع أنهم على منهج باطل- لمَّا أتوا إلى الرؤية أثبتوها، وهكذا العلو لمَّا أتوا إليه لم يستطيعوا أن ينفوه، العلو دل عليه أكثر من ألف دليل، فالحاصل: أن هذا الاعتقاد من الاعتقادات التي فيها مميزه بين أهل السنة والمخالفين.

قال المصنف: «فَصْلٌ: وَمِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ عَنْ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُورِ، أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد:٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]، رَوَى ابْنُ عُمَرَ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» فَقَالَ جِبْرِيلُ: صَدَقْتَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ»، وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»، وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اللهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا الْحُجَّةَ بِإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَبِعْثَةِ الرُّسُلِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وَنَعْلَمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا الْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر:١٧]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلًا وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ

بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ».

تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا عن القدر كلامًا جامعًا ذكر فيه: أن الرب عَزَّوَجَلَّ من صفاته أنه يفعل ما يريد، وأنه لا يقع في هذا الكون تحريكة ولا تسكينه إلا بإرادته سبحانه، وألَّا يمكن أن يخرج شيء عن مشيئته مهما كان، وأن الله تعالى إذا لم يشأ أن يكون الشيء؛ فإنه لا يمكن أن يكون، حتى لو توفرت كل الأسباب، واجتمع كل المخلوقين، فإذا أبى الله عَزَّوَجَلَّ أن يَنفذ هذا الأمر الذي اجتمعوا عليه؛ فإنه لا يمكن أن يَنفذ، ولهذا هم يسعون في إطفاء الإسلام منذ أن بعثه الله، قال تعال: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة:٣٢]، لا يمكن أن يقع الشيء إلا بمشيئة الله تعالى وإذنه.

قوله: «وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ عَنْ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُورِ، أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ».

الشيء الذي فعلوه قد أراده الله، الإرادة نوعان: إرادة كونية، وإرادة شرعية، الإرادة الكونية شاملة، لا يمكن أن يقع شيء بتاتًا إلا إذا أراده الله، فالله هو الذي أراد الهزيمة يوم أحد، وهو الذي أراد النصر يوم بدر، ولو أراد الله لما انتصر الكفار، تأتي المسألة الآن: إذا كان الله تعالى قد أراد هذا فلماذا؟ قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران:١٦٥]، تأتي الحكمة: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]، فالله لا يقدِّر شيئًا عبثًا، لكنَّ لله سننًا، وله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أحكام تجري على البَرِّ والفاجر، منها: أنه سبحانه إذا عُصي فإنه قد يَخذل من عصاه، وأن النصر لا يكون إلَّا لمن نصره، ونصر العبد لله ليس المقصود به أن الله بحاجة إلى نصر العبد، ولكن المقصود بنصر الله عَزَّوَجَلَّ: أن يقوم بما أمره الله تعالى به، فعند ذلك ينصر الله، وإلَّا فالله غني حميد، هنا ينصره الله حتى لو كان في ضعف، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾- انظر العبارة- ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، لم يقل: «ضعفاء»، بل: «أَذِلَّةٌ»، ومع ذلك نصرهم الله، مع أن كل الأسباب الدنيوية تدل على أنهم سيُهزمون، وفي حنين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة:٢٥]، الكثرة دالة على النصر، فصارت سببًا في الهزيمة، حتى منَّ الله تعالى بالنصر لاحقًا.

الحاصل: أنه لا يقع أمر إلا بإذنه، والرب تعالى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية على أتمِّ ما يكون من الحكمة، فالله تعالى حكيم عليم، لا يمكن أن يقدِّر شيئًا إلا لحكمة بالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: «أَرَادَ مَا اَلْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ».

لكن الله تعالى قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨]، وإلَّا لو شاء الله لكان أهل الأرض كأهل السماء؛ في طاعة تامة، وهذا خلاف حكمة الله، طاعة أهل السماء لأن الله تعالى جعلهم على هذا الحد من الطاعة، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠]، أمَّا أهل الأرض فيختلفون، من جنِّهم وإنسهم، ولهذا قال ﷺ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَأَتَى بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ** -لماذا؟- **فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»، حكمة الله تعالى، فلو كان أهل الأرض ليس عندهم ذنبٌ نهائيًّا لمن يغفر الله؟ ولو كان ليس في أهل الأرض متجبر طاغٍ يظل السنين الطويلة يظلم عباد الله لما ظهر بطش الله وانتقامه، قال أهل العلم: فهذه الأشياء التي يقدرها الله عَزَّوَجَلَّ بها تظهر آثار أسمائه وصفاته، فمن آثار أسمائه وصفاته، فمن آثار أسمائه وصفاته: آثار أسماء النِّقمة، عياذًا بالله من انتقامه، والقهر، من أسمائه تعالى القهَّار، وهو ذو انتقام، فلو كان أهل الأرض كأهل السماء؛ لما انتقم الله من أحد من أهل الأرض، لكن من عظمة الله تعالى أن يُملي للظالم، ويزيده في الطغيان، حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر، يتضح به ذل العبد، ويكون هذا المتجبر -في بعض الأحيان- يرحمه الناس، لأن الجبروت والعظمة لله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا المغفرة -كما قلنا-: لو كان الناس لا يذنبون؛ لما وقع من آثار أسمائه تعالى الغفار، التواب، يتوب على مَن؟ إذا كانوا جميعًا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

لهذا جعل الله تعالى الخلق على هذا الحال، فالملائكة في طاعة مستديمة، والجن والإنس على نوعين: منهم أخيار مطيعون، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الجن:١١]، ومنهم أشرار، والأشرار على نوعين -أيضا-: منهم الشياطين والكفرة، ومنهم من قد يكون عنده شيء من المعاصي مع بقائه على إسلامه، فتأتي أقدار الله العجيبة والعظيمة، وتأتي معها -أيضا- أحكام الله في شرائعه، يظهر بها ما قال: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥]، على أتمِّ ما يكون من الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، كل هذا لا يظهر إلا بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ مثل هذه الأمور، والكلام في القدر باب عظيم جدًّا الحقيقة.

قوله: «خَلَقَ اَلْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ».

أفعال الخلق مثل: شربك الماء هذا الآن، مدِّك يدك هذا، خلقه الله لك، خلقك الله تعالى وخلق

فعلك، فإن تمد يدك –الآن– لهذا الماء ثم تشربه، المشلول لماذا لا يستطيع أن يشرب الماء؟ ما خُلق له الفعل، يده مشلولة فلا يستطيع، هذا معنى قولهم: «**إن الله خلق الخلق وخلق أفعالهم**»، ثم إن الله مكَّنك أن تمد يدك لأخيك بالخير والصدقة مثل: الفقير، ومكَّنك أن تمد يدك بالسوء والظلم والضرر، ويحاسبك على هذا وعلى هذا، فهذا معنى كونه تعالى خلق الخلق وخلق أفعالهم.

قوله: «وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ».

كلهم له رزق، وكلٌّ له أجل ينتهي إليه، إذا هدى أحدًا؛ فإنه يهديه برحمته، وإذا أضلَّه؛ فإنه يضله لحكمة، ولا يضله ظلمًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل هو الذي لا يظلم مثقال ذرة.

ثم ذكر أن القدر لا بد أن تلاحظ فيه مثل هذه الآية: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، لا تقل: هذا هداه الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أخوه أضل ما يكون، إليه سبحانه، لا تسأل هذا السؤال؛ لأن حتى السؤال بهذه الطريقة قد يكون سببًا في ضلالك أنت، لأن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل، فلا يوجه له تعالى لماذا؟ من هو العبد الذي يستطيع أن يقف أمام الله تعالى ويقول: لماذا يا رب؟ مَن؟ أو يقول: كيف؟ الله تعالى لا يقال له: لِمَ، ولا كيف، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، هم الذين يُسألون.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إيراده أمرَ موضوع القدر، أورد قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، فما من شيء إلا والله تعالى قد قدَّره، ومراتب القدر أربعة: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، العلم: أن الله علم كل شيء جملةً وتفصيلًا، والكتابة: أنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ، والمشيئة: أنه لا يمكن أن يقع شيء في ملكوت الله عَزَّوَجَلَّ إلا إذا شاءه من خير أو شر، قلنا: إنه يقدِّر الشر لحكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال تعالى –لما تَساءل الصحابة–: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران:١٦٥]، كيف هذا؟ كيف يقع؟ نحن المسلمون وفينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويغلبنا الكفار، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]، أي: بسببكم، ثم قال مبيِّنًا أن ذلك بتقديره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، ﴿وَمَآ أَصَابَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٦]، ثم بيَّن الحكمة: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٧]، إلى آخر الآيات، فاتَّضح المنافقون، واتَّضح المؤمنون، واتَّضح أن المعصية قد تضر الأمة ولو كان فيها خيار صالحون، لا، ليس هذا فحسب، بل قد تضر الأمة ولو كان

فيها رسول الله، متى تعرف الدرس هذا؟ إلا إذا قدر الله تعالى مثل هذا، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] ، وقد بيَّن عَزَّوَجَلَّ أنه وقعت معصية في أحد وهي واحدة، ولم يقع منهم معاصٍ كثيرة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم﴾ [آل عمران:١٥٢] ، ما المعصية؟ أن الرماة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نزلوا من الموقع الذي حدَّده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيكُم، إِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ غَلَبُونَا فَلَا تُعينُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمونَا يَتَخطَّفُنَا الطَّيْرُ**»، كلام واضح يدلك على أهمية الاستمساك بظاهر النص، كلام واضح، فلمَّا ولى المشركون الدبر، الذين على الجبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يتعمدوا المعصية معصية المعاند، لكن لا شك أن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضح في أنهم لا يبرحون مكانهم، هم كالذي قال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما أمرنا بأن نبقى في مكاننا ما دامت الحرب قائمة، أما والعدو الآن قد فرَّ، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يريدنا أن نبقى إلى قيام الساعة، يريدنا أن نبقى مدة القتال، منعهم ابن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أميرهم، وذكَّرهم بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتأوَّلوه، وهذا يدلك على أن الاستمساك بظاهر اللفظ هو الصواب، لأن قد يأتي –مثلًا– ما يدل على أن اللفظ يُراد به كذا؛ إلا إذا دلَّ من كلام الله أو كلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن هذا الظاهر غير مراد، لكن بالقرآن نفسه، كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إنه لا يصار إلى باطن دون ظاهر**»، لا يقال: إن اللفظ هذا يراد به غير ظاهره إلا بنص من القرآن، أو من السنة، أو إجماع، إذا لم يوجد هذا؛ تُبقي اللفظ على ظاهره، فلما نزلوا رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم حصلت المصيبة، المصيبة شملت، وسمَّاها الله بمصيبة: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران:١٦٥] ، أضرَّت حتى برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان الله تعالى قادرًا على أن لا يمسوه بسوء، لكن لتظهر بشريته، ولأجل أن هؤلاء الذين يغلُون فيه ويقول الواحد منهم: يا رسول الله أغثني!!، نقول: هذا وقع له ليُعرف بشريته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم لمَّا دعا عليهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ دعا على الكفار: «**كَيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا وَجْهَ نَبِيِّهِم وَهُوَ يَدْعُوهُم إِلَى رَبِّهِم**»، ثم قنت عليهم ولعنهم؛ أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] ، فدل على قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤] أنه ليس عند الرسول الأمر، تأتون تسألونه عند قبره: يا رسول الله!! فالأمر لله ليس للرسول، وأيضا فيه دلالة عظيمة؛ نهى الله –وهذا من أنفس ما يكون في الرد على الرافضة– النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن يدعو على الذين أضرُّوه من المشركين؛ لأنه يعلم أنهم

سيسلمون، فنهَوا عن الدعاء لهم وهم كفار ظالمون، قال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، أو -بدأ بالتوبة- ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨]، ثم إنهم أسلموا، لأن الله يعلم غيبهم، ولو كان النبي ﷺ يعلم الغيب وأنهم سيسلمون؛ ما دعا عليهم، كل هذه الأمور من حكمة هزيمة أحد، من قدَّرها؟ قدَّرها الله، لهذه الحكمة، ولحكم لا يحيط بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، تكون دروسًا لأمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة، مثل ما ذكرنا: فيها ردٌّ على القبوريين، فيها الردُّ على الرافضة، أنت -الآن- تشتم أبا بكر وعمر، الله نهى النبي ﷺ أن يدعو على سهيل بن عمرو، وعلي أبي سفيان، وهم كفار ظالمون، تعدَّوا على النبي ﷺ، وقتلوا سبعين من أصحابه، وشجُّوا وجهه الكريم، ومع ذلك قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ لأن الله يعلم الغيب سيسلمون، فأرغم الله بأنوفكم، نهى الله عن الدعاء على صحابة كانوا كفارًا لأنهم سيكونوا صحابة، فما بالك بالمؤمنين من الصحابة؟ الحاصل الدروس لا يحيط بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ في موضوع القدر، ثم أورد قوله عَزَّوَجَلَّ: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا كتاب)، وهذا كما قلنا: أن الأشياء مكتوبة، قبل ذلك مقدرة، وأن الأمر في الهداية إلى الله، (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)، الآن أذَّن المؤذن، المؤمن على أكمل ما يكون من انشراح الصدر سأذهب لأصلي، هذه الصلاة أثقل من الجبال على المنافق، (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)، (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى)، ولهذا قال بعض السلف: إن قراءة القرآن أثقل على المنافق من نقل الحصى والحجارة، هذا الشيء الذي منَّ الله تعالى به عليك، وفرحت بقراءة القرآن، وبالصلاة، احمد الله عليه، فإنه على غيرك أثقل ما يكون؛ لأن الله هداك، (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يريد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا)، فتنتكس عنده المفاهيم، فيكون الحجاب والعفة والأدب والحياء تخلُّفًا!! وينظر إليه بنظرة الازدراء، التي هي عندك أعظم شيء بعد دينك، العرض والحياء والحشمة، ينظر إليه نظرة بالغة الازدرء، إن الله أضله، انتكست عنده المفاهيم، وصار -عياذًا بالله- ممن انقلب قلبه، (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يريد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) أي: كأنه يقال الآن: اصعد السماء، كيف أصعد إلى السماء؟ الآن عندي أجنحة، اصعد السماء، فيضيق صدره كما لو قيل لأحد: اصعد السماء.

ثم أورد حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ -في حديث جبريل المشهور، ورواه -أيضا-

عمر- لما سأله ما الإيمان؟ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ**»، وفي اللفظ الآخر: «**وَتُؤْمِنُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فدل على أن القدر فيه خير وفيه شر، لكن هذا الشر الذي يصيبك من القدر بعضُ ما تستحق، والدليل في القرآن على أن بعض ما نستحق ليس كل ما نستحق: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم -لكن انتبهوا- ويعفو عن كثير)، ترى هذا الأدب الذي جاءك بعد ضرر وخلل وإشكالات كثيرة من لسانك، وفي قولك، وفيما نظرت، وفيما نويت، كثيرة جدًّا، عفا الله عنك، ثم جاءك ضررٌ، قد عفا الله عن كثير منه سابقًا، فيكون درسًا وأدبًا لك، (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)، أنت المتسبب فيه، (ويعفو عن كثير).

فالقدر -أيها الإخوة- باب من أبواب الإيمان، فإذا انتكس عند الإنسان المفهوم؛ صار بابًا من أبواب الشبهة -عياذًا بالله-، كما فعلت الجبرية، وفعلت القدرية، ثم أورد الحديث الذي فيه: أن النبي ﷺ علَّم الحسن رضي الله عنه هذا الدعاء وفيه: «**وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ**»، فدل على أن في المقضي شرًّا، ومنه قوله تعالى: (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد)، ففيه أشياء من الشرور، (من شر ما خلق)، إلى غير ذلك من الأمور الدالة على ما في القدر من هذه المسألة التي يجب الإيمان بها، ولن ينتفع بها إلا من يؤمن بها على طريقة أهل السنة، ولذا قال النبي ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ المؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ** - لماذا؟ لأنه من الله، أصبر؛ لأنها من الله، أيُّ ضرر- **وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ**»، فلا يغتر أبدًا، ولا يعترض أبدًا، لأنه يقول: هي من الله عزوجل، إن جاءنا شيء من الضرر فهو بعض ما نستحق، وإن أتانا خير من التوفيق لا يفخر،لا يغتر أبدًا، يقول: هذا بفضل الله عزوجل، كما قال سليمان عليه الصلاة والسلام -لما أوتي له بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى الشام، أول ما وضع-: (هذا من فضل ربي ليبلوني شكر أم أكفر)، هكذا القلوب الحية، القدر -الحقيقة- ممَّا يُحيي الله تعالى به قلوب أهل الحق، أمَّا من ينازع الله عزوجل في القدر، ويكون له اعتقاد فاسد في القدر؛ فلن يجد من هذه المعاني أي شيء.

قوله: «وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اللهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ».

إذا علمنا أن الأمر لله تعالى من قبل ومن بعد، وأن الله تعالى قدَّر المسائل، أشياء علمها وكتبها وشاءها، وأنه تعالى لا يمكن أن يقع شيء إلا بإذنه، يأتي الأمر المتعلق بك أنت، لا تجعل قضاء الله وقدره حجة لك في ترك أوامره واجتناب نواهيه، لماذا؟ لأن الله أعطاك مشيئة واستطاعة، ولهذا -انظر-

إذا سُلبت الاستطاعة؛ سقط الحكم، «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَم تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»، فإذا سُلب -والعياذ بالله- العقل؛ سقطت كل الأحكام، لو تكلم بأقبح الكلام، لو فعل ما فعل، هذا انتهى من التكليف، لأنه في حكم غير المستطيع، أمَّا المستطيع؛ فإن الله يحاسبه بحسب استطاعته، فلا تجعل قضاء وقدره حين تثبته لله عَزَّوَجَلَّ سببًا في أن تتملص أنت ممَّا أوجب الله عليك، أو تقع فيما حرَّم الله عليك، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال تعالى: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل).

قوله: «وَنَعْلَمَ أَنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ».

غير المستطيع لا يأمره الله تعالى ولا ينهاه، الذي لا يستطيع لا يمكن أن يؤمر ولا يُنهى، والله تعالى أحكم من أن يأمر غير مستطيع، غير المستطيع لا يؤمر، إنما الكلام على المستطيع، أذَّن المؤذن -الآن- الناس شتَّى زرافاتٍ ووحدانًا، هذا يذهب -عياذًا بالله- إلى موضع ليفجر فيه في وقت الصلاة، بينما آخرون تجد بعض كبار السن يأتي متكلِّفًا مجتهدًا، قد يكون بينه وبين المسجد مائة متر، يأخذ فيه نحوًا من عشرين دقيقة حتى يصل، وفي بعض الأحيان يكون شرعًا غير ملزم بالحضور، قد يأتي زحفًا على يديه ورجليه، (حبَّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم)، نسأل الله الكريم من فضله، فالعبد ما أمره الله تعالى ولا نهاه إلا إذا كان مستطيعًا، لهذا الأمر الذي أُمر بفعله، أو الترك الذي أُمر باجتنابه.

قوله: «وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ».

لهذا ماذا يقول الشيطان -عياذًا بالله عَزَّوَجَلَّ-: (وقال الشيطان لما ما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطاني لانت دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم)، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والله ما أخذ عصًا، ولا ضربهم، إنَّما أمرهم فأطاعوه**»، وإلَّا ليس هناك أحد يجهل أن الزنا حرام، وأن الربا حرام، ولو جهل وعُلِّم إن كان صادقًا كفَّ، ومع ذلك يقدم على ما حرَّم الله عيانًا وهو يعلم، نسأل الله يحفظ علينا وعليكم جميعًا أسماعنا وأبصارنا، انظر -الآن- فتنة الأسماع والأبصار، الزنا -نسأل الله العافية- كثير من المسلمين كبير جدًّا بينه وبين الزنا، الزنا أمر موحش موحش، لكن أمور دون الزنا وهي المقدمات التي قد توصل إلى الزنا، مثل: السمع والبصر إذا أُطلقا فيما حرَّم الله، فهذا الذي أطلق بصره فيما حرَّم الله، وصار يتفرج في النساء، ما بينه وبينها إلا هذه الشاشة في جواله، يجهل الحكم هو؟ لا يجهل الحكم، هذه العين التي أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ أراد الله منك أن

ترسلها في هذا!! يقول: لا والله، أتدري أن هذا قد يوردك المهالك، قال تعالى: (ولا تقربون الفواحش) الخطوات قد توصلك إلى الفاحشة، لا تعرف الحكم؟ بلى أعرف الحكم، ما الذي يجعلك على هذا؟ عشر عشرون ثلاثون أربعون خمسون سنة، بعضهم في الثمانين ينظر إلى هذه المحرمات، يجهل؟ لا يجهل، لهذا الله تعالى يحاسب العبد: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنهم مسئولا)، حرَّم الله عليكم من سماع الغناء، وسماع الاستهزاء والسخرية بالمسلمين، ونحو ذلك، كل هذا ممَّا حرمه الله تعالى عليك، تجهل؟ أكثر الناس لا يجهلون، لهذا الله تعالى وجَّه الأوامر والنواهي للمستطيع، وسيحاسب، ونسأل الله أن لا يشدِّد عليه الحساب، ولا يناقشنا الحساب، فمن نوقش الحساب عذب كما في الحديث، لكن هذه الأمور جلية وواضحة، ولا تخفى على عموم المسلمين، قد تخفى على جاهل بعض الأحكام، لكن في العموم الأغلب أكثر الناس يعلمون الأحكام، حتى من يقعون في الربا، ويذهبون إلى الربا، وقد يكونون من أهل الصلاة وأهل الصوم، هم يعلمون أنهم يتعاملون بالربا، ليست هي بالمسألة التي خفيت عليهم، أو نحو ذلك، لا، هم يعلمون هذا، نسأل الله أن يمن علينا وعلى المسلمين بالعودة الصادقة إليه.

قوله: قَالَ اَللهُ تَعَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

الوسع والطاقة التي في الإمكان هي التي يكلف الله تعالى العبد بناءً عليها.

قوله: وَقَالَ اَللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

كل هذا إثبات أن العبد له استطاعة.

قوله: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ [غافر:١٧].

فالله لا يظلم مثقال ذرة.

قوله: «فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا».

عكس ما تقول الجبرية.

قوله: «يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللهِ وَقَدَرِهُ».

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[1].

---

(١) نهاية الدرس الثالث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

○ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المصنف:** «فَصْلٌ: وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالْجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فَجَعَلَ عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَى، وَإِخْلَاصَ الْقَلْبِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنْ الدِّينِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ»، فَجَعَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ مِنْ الْإِيمَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة: ٢٤]، وَقَالَ تعالىَ: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [الفتح: ٤]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ الْإِيمَانِ»، فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلًا».

تكلم المصنف عن الإيمان، والإيمان بإجماع أهل السنة والجماعة كما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ «قَوْلٌ بِاللِّسَانِ»، بأن ينطق بلسانه ويتشهد الشهادتين، كما قال ﷺ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ». يقولها وينطقها.

❁ **قال المصنف:** «وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ».

أي: بالجوارح.

❁ **قال المصنف:** «وَعَقْدٌ بِالْجَنَانِ».

أي: اعتقاد بالجنان، والجَنان بفتح العين: هو القلب، أي: أن الإيمان قول واعتقاد وعمل.

قال المصنف: «يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ».

لأن الإيمان ليس شيئا واحدا، وإنما شعب كما قال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً»، أي: أنه أجزاء وليس شيئا واحدا، الذين يقولون إنه شيء واحد هم الخوارج والمعتزلة، يقولون شيء واحد، يفعل الإنسان جميع ما أوجب الله ويترك ما حرم الله، فإن قصر ارتفع الإيمان، فيكون كافرا.

والمرجئة- مع أن المرجئة على الضد من الخوارج- يقولون أيضا إن الإيمان شيء واحد، ولكن يقولون هو في القلب فقط مجرد معرفة القلب أو تصديقه، ويزعمون أن الناس فيه سواء.

وقد أكذبتهم النصوص فدل القرآن والسنة على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الزيادة تكون حتى في القلب، فإيمان محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، لا يمكن أن يكون مثل إيمان غيره من الناس في قلبه ويقينه، فيتفاوت الناس، ولهذا قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. أي: يخاف النفاق الأصغر الذي هو الرياء، ما منهم من أحد يقول إيماني مثل إيمان جبريل أو ميكائيل، فإيمان الملائكة وإيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم الإيمان، فهو يزيد وينقص، وإيمان العاصي الذي قصر أيضا عنده إيمان ولكنه إيمان ناقص.

قال المصنف: «فَجَعَلَ عِبَادَةَ اَللهِ تَعَالَى، وَإِخْلَاصَ اَلْقَلْبِ، وَإِقَامَ اَلصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ اَلزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنْ اَلدِّينِ».

قد ينتقده من لا يدري بهذا، يقول هل يشك في هذا أحد؟ المرجئة تخرج العمل من الإيمان، جميع طوائف المرجئة كلها سميت مرجئة؛ لأنها ترجئ أي: تؤخر العمل عن الإيمان، من غلاتهم إلى مرجئة فقهاء الكوفة، كلهم يرون إخراج العمل ويرون أن العمل غير داخل في حد الإيمان وهذا من العجائب.

العمل سماه الله إيمانا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، وقال ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»، التطهر بالماء شطر الإيمان، أي: نصف الإيمان، فكيف تقول إنه ليس من الإيمان؟ وهل يكون النصف خارجا عن الحقيقة؟ نصف الشيء ليس منه، فقولهم عجيب للغاية الحقيقة، ولهذا قال صلى وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، ومَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» وقال ﷺ كما في حديث وفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللهِ» ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ،

وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَيَّ خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ». هذه أعمال.

فالحاصل: أن مرادة بقوله «فَجَعَلَ عِبَادَةَ ٱللهِ تَعَالَى، وَإِخْلَاصَ ٱلْقَلْبِ، وَإِقَامَ ٱلصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنْ ٱلدِّينِ»؛ لأن المرجئة تخرج العمل من الإيمان، فسمى الله تعالى هذه الأمور دينا فقال: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥] ، فهذا الذي سمى الله دينا كيف لا يكون من الإيمان؟ الحاصل: أن الخلاف في مثل هذه المسائل يطول مع أهل الباطل ولا شك في أن قولهم بالغ السوء.

ولهذا نقول لإخواننا إذا أردتم أن تعرفوا حقيقة مذهب الأشعرية وبعده عن مذهب أهل السنة والجماعة، انظروا ماذا قالوا في الإيمان؟، إذا نظرت إلى ما كتبه أساطينهم كالأمدي، وكذلك الماتُريدية كالنسفي والسمرقندي وغيرهم لما أتوا إلى هذه المسألة ذموا مذهب السلف ذما صريحا وبالأسماء، قال بعضهم هو مذهب الشافعي ومالك وأهل الحديث، وسماه الآمدي بأنه قول الحشوية، وقال- أظنه النسفي-: عليه إشكال ظاهرا، بل قالوا: هو قول مبتدع، هنا لما قلنا إن الأشعرية يخالفون منهج أهل السنة، في بعض المسائل يدعون أن الصفات السلف فيها على التفويض، رددنا الكلام هذا في أول الدرس، إذا جاءت مسألة الإيمان الحقيقة اتضحت الأشعرية على حقيقتها، لأنهم ذموا مذهب السلف صراحا ومنهم الرازي أيضا، مع علمهم بأنه قول السلف، فقالوا مالك والشافعي وأهل الحديث، ومع ذلك ذموه هذا الذم؛ لأن الأشعرية مرجئة غلاة أيضا، فيروا أن الإيمان مجرد التصديق.

❁ **قال المصنف**: «وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وَقَال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح: ٤]».

ثم ذكر الآيات في الزيادة كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤] ، وقوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح:٤] ، الحاصل أن الزيادة والنقصان في الإيمان دلت عليه النصوص.

❁ **قال المصنف**: «وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ ٱلنَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ ٱلْإِيمَانِ».

أي: ما عنده إلا الشيء اليسير من الإيمان حتى إن إيمانه لا يزن إلا مثقال حبة بر أو خردلة أو ذرة، الشيء اليسير للغاية سواء قيل إن الذرة تعادل النمل الصغار هذه، أو الهباء الذي يكون مثل الغبار، وكان هناك فتحة، تدخل معها الشمس تلاحظ شيئا يتطاير في نور الشمس، قال بعضهم هو المراد بالخردلة

هذه.

الحاصل: أنه معه شيء يسير من الإيمان ومع ذلك هو مسلم، فدل ذلك على تفاضل المؤمنين في إيمانهم.

قال المصنف: «فَصْلٌ: وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ، وَصَحَّ بِهِ اَلنَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ، أَوْ غَابَ عَنَّا، نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقِلْنَاهُ وَجَهِلْنَاهُ، وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ، مِثْلَ حَدِيثِ اَلْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تُنْكِرْ اَلْمَنَامَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ اَلْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ لِيَقْبِضَ رُوحِهِ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ مثلُ خُرُوجِ الدَّجَالِ وَنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقْتُلَهُ، وخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ».

تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك عن أن المنهج العام للمؤمن فيما جاء به النبي ﷺ أن يؤمن بكل ما أخبر به ﷺ؛ لأن شهادة أن محمدا رسول الله مقتضاها تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه زجر وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإذا أخبرنا بأمر من الغيب السابق أو بأمر من الغيب اللاحق- الآتي- أو أخبرنا بحكم من الأحكام أنزله عليه ربه تعالى فإنه يجب الإيمان بكل ما أخبر به وصح به النقل عنه، سواء فيما شاهدناه- قد تشهد بعض ما أخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تراه وتعاينه-، أو فيما غاب عنا سواء من غيب مضى أو في غيب مستقبل، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما تمكننا من أن نعقله ونفهمه، أو مما جهلناه؛ لأن هناك أمور مرتبطة بالغيب لا شك أنها تجهل، ولم نطلع على حقيقة معناها؛ لأن الله استأثر بأمور من الغيب لا تستطيع أن تعرف حقيقة هذا الغيب.

قوله: «مِثْلَ حَدِيثِ اَلْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ».

النبي ﷺ كان في مكة، ثم أسري به ﷺ إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء السابعة، وكلمه الله تعالى كفاحا مباشرة، وفرض عليه الصلوات ثم نزل إلى الأرض، وبين السماء والأرض مسيرة خمسمئة سنة، وبين كل سماء وسماء خمسمئة سنة، وفي بعض الروايات أن كثف كل سماء خمسمئة سنة، النبي ﷺ وصل إلى هذه المسافات في ليلة ورجع؟ نعم، كيف؟ قلنا لك أكثر من مرة، إن هذه الأمور الغيبية لا يمكن أن يُطلع عليها، ومع ذلك سبحان الله العظيم في هذه

الأزمنة هذه الأمور هناك من الملاحدة في السابق من كان ينكرها بل ويسخر بها تبدت للناس الآن أمور لا نقول إنها مثل تلك الغيبيات لكنها جلَّتها، فأنت الآن لو قيل لك إن رجلا من أهل نجد ذهب اليوم في الصباح إلى مكة وأخذ عمرة ورجع، صلى الفجر في بلده وأخذ العمرة ورجع وصلى الظهر في بلده، من يصدق هذا الكلام من مئات السنين؟ ما أحد يصدقه. والآن، أليس هذا عاينا؟

هذه ورقة تأخذها فتضعها في جهاز ثم ترسلها فتصل إلى الصين في موقف أنت وقفته، المعتزلة يصدقون هذا يضعون الأدلة والكتب والفلاسفة كابن سينا وغيره على أن هذا كلام باطل وأن هذا من الخرافات؛ الآن نعايشها الآن.

هل أنت الآن الجوال؟ وفي الحقيقة من تأمل هذه الصناعات، الواقع أنها من نعمة الله من جهة، ومن جهة أخرى هي من الدلائل على بعض من الغيب الذي كان يجحده أولئك الملحدون، جاء في الحديث أن في آخر الزمان أن الرجل يكلمه طرف سوطه، الآن طرف السوط جماد، هذه الآن الجوالات ما أحد يستنكر أن هذا الجوال كأنه يوجهك توجيها، حتى يوقفك على الموضع الذي تريده ويقول لك أنت الآن في هذا واقع تراه الآن هذه كلها خرافات في السابق بل الطيران والذهاب والإياب أمور كثيرة جدا.

فإذا كان هذا وقع الآن في عالم الشهادة مما كان لو عرض على المعتزلة والفلاسفة وعلى السابقين لاستسخفوه وردوه، فما بالك بعالم الغيب الذي لا يحيط به إلا الله عَزَّوَجَلَّ؟

لهذا نحن نقر بما جاء عن النبي ﷺ سواء مما يمكن أن يُفهم ويعقل أو مما يجهل لأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى.

قوله: «وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تُنْكِرِ الْمَنَامَاتِ».

لا شك في هذا ولا ريب أنه يقظة أما لو كان مناما وقال النبي ﷺ لقريش إني كنت البارحة نمت ورأيت في منامي كذا وكذا قال نحن أيضا ما نستغرب أن الإنسان ينام ويرى عجائب في منامه، لكن إنما أنكروه لأنه أخبر أنه كان يقظة وأن ذلك كان واقعا لا مجرد رؤيا منام، مع أن النبي ﷺ رؤياه حق، رؤيا الأنبياء حق لكن هو واقع وصلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكلمه الله تعالى كفاحا ورجع من ليلته، ما يمكن أن يصدق هذا إلا مؤمن.

فالحاصل: أن مثل هذه الأمور وإن استنكرها من استنكرها فإنها يقرها المؤمن، المهم أن تثبت، أما

مجرد الخرافات والخزعبلات أو الأحاديث الموضوعة ونحو ذلك هذا ترد على المتصوفة وأمثالهم من الرافضة ونحوهم.

قوله: «وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ اَلْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ لِيَقْبِضَ رُوحِهِ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ».

فقأ عينه وهو في صورة الملك البشرية؛ لأنه يأتي بإذن الله تعالى على صورة بشر، فلطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه وقال لولا كرامة عليك لشددت عليه، فأعاده الله تعالى إليه وقال قل لموسى يضع يده على متن ثور، وما أصابت يده من الشعرات فله بكل شعرة سنة، قال موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعلمه بالله: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن إذا، سواء طالت المدة حتى صار هذا العدد الكثير من السنين أو صار الآن، الموت لا بد منه، كل هذا حق، المهم أن يثبت وألا يكون مجرد خزعبلات وأمور مما يذكره أهل الجهل من المتصوفة والمخرفين، أما إذا كان حقا وواقعا فإن المؤمن يؤمن به ولا يتردد لحظة فيه ولله الحمد ما يتردد.

ولذلك ذكرنا بعض الأشياء هذه على سبيل التقريب لها، وإلا المؤمن لو ثبت عن النبي ﷺ أمور من أعجب الأمور غرابة ومما قد يستبعده العقل أشد الاستبعاد فإن المؤمن يقبله، ولا يبالي، ولهذا لما سخرت المعتزلة واضرابهم من حديث: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً» المعتزلة المسألة عندهم أسهل ما يكون إذا ما اقتنع بالشيء رده، قال يحيله العقل ثم تجد بإذن الله عَزَّوَجَلَّ الدلائل على هذا وأن هذا فعلا هذا واقع ذباب من الناحية الطبية، أن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، المسلم قابل لهذا الكلام اكتشف طبيا أو لم يكتشف بل فلو قال الأطباء: حللنا فلم نجد هذا الكلام، المسلم لا يتردد أنهم مخطئون والنبي ﷺ هو الذي على الصواب، إن ربي على صراط مستقيم، ألا يعلم من خلق.

فالحاصل: أن المسلم يقر بما جاء به رسول الله ﷺ مطلقا ولا يتردد في هذا.

قوله: «وَمِنْ ذَلِكَ: أَشْرَاطُ السَّاعَةِ».

أي: مما يقر به المؤمن، وأشراط الساعة علاماتها.

قوله: «مثلُ خُرُوجِ الدَّجَالِ وَنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقْتُلَهُ، وخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ».

ذكر أمثلة عليها كخروج الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيقتل الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وكذلك خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل، أي شيء يصح به النقل عن النبي ﷺ من مثل هذه الأمور أو غيرها، فالقاعدة عندك أنك تقر به.

الفائدة من قوله: «مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ» حتى يعرف الرجل من أهل السنة، ليس مثل المخرفين من الشيعة تسمع كيف يضحك بهم هؤلاء المعممون الكذبة أو من مخرفين الصوفية، بعضهم يخرج لك كتابا ويقول هذا الكتاب أعطانيه النبي ﷺ في المنام، ثم قال ابن عربي في كتابه «فصوص الحكم»، قال دفع إلى في المنام، وهو كتاب زندقة وإلحاد وكفره به العلماء، لكن حتى يلعبوا بالناس، فيقولون هذا كتبه لي رسول الله ﷺ ، أو دفعه إلي وقال.

مثل هذه الأمور ما يمكن أن يقبلها السني، يعلم أنها خزعبلات وخرافات، ولهذا ولله الحمد في المحيط السني إذا رُبِّي الناس على السنة تجد أنهم على أكمل ما يكونون من الخضوع لله ورسوله ﷺ ، وفي الوقت نفسه على أشد ما يكونون من البعد عن مثل هذه الخرافات والخزعبلات ما تمشي عليهم، حتى على العامي منهم، العامي إذا سمع مثل هذه الأمور توقف، وسأل العلماء، أما هؤلاء فيعبث بهم أهل التصوف وأهل الرفض ويعبثون بهم هذا العبث.

المهم أن يصح به النقل، فإذا لم تدر هل صح أو لم يصح؟ تسأل أهل العلم هل هذا مما صح أو لم يصح؟.

❁ قال المصنف: «وَعَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيْمُهُ حَقٌّ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وَفِتْنَةُ القَبْرِ حَقٌّ، وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ حَقٌّ، وَالبَعْثُ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِيْنَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيْلَ عليه السلام فِي الصُّوْرِ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]».

تكلم عما يقع في القبر والذي يقع في القبر أمران:

الأمر الأول: فتنة القبر، وهو سؤال الملكين للعبد عن ربه ودينه ونبيه ﷺ .

والثاني: إما أن يعذب- عياذا بالله- أو أن ينعم.

فإن كان من أهل الجنة فتح له باب إلى الجنة وأتاه من ريحها وطيبها- نسأل الله الكريم من فضله-، ودعا الله أن يقيم الساعة لأنه اطمئن إلى أنه في الجنة، قال: رب أقم الساعة، وإن كان- عياذا بالله- على الحال الذي عليه أهل النار فتح له باب إلى النار وعذب في قبره.

فيما يتعلق بعذاب القبر المتعلق بالموحدين- أعاذنا الله وإياكم- هو على نوعين:

الأول: نوع مستمر- نسأل الله السلامة والعافية- إلى قيام الساعة، كما في حديث سمرة.

الثاني: نوع ينقطع.

فممن يعذب إلى قيام الساعة- نعوذ بالله-، رجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، والمراد بعدم قيامه به في الليل كما في اللفظ الآخر، ينام عن الصلاة المكتوبة أي: أنه يترك مثل صلاة الفجر- عياذ بالله- مع أن الله علمه القرآن فدل على أن التخلف عن الصلاة المكتوبة، ولا سيما من رجل علمه الله القرآن ثم لم يعمل فيه بالنهار أي: ما استفاد من هذا العلم الذي تعلمه لا في ليله ولا في نهاره ثبت أنه يعذب إلى قيام الساعة.

وهكذا الذي يكذب يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، أي: قد يكذب كذبة لا تنتشر فيؤاخذ على كذبه، لكن الكذبة التي تنتشر كالكذب الآن الذي يحدث من وسائل التواصل الاجتماعي وربما بعض الأحيان يكون هزلا ومزاحا فارغا، أو يكون بكذب وسائل الإعلام هذا يدخل في الحديث، لأنها تبلغ الآفاق، بعض الأحيان الكذبة هذه تهتز لها الأسواق في العالم، ويكون لها آثار، بعض الناس قد يريد السفر فيمتنع من السفر، بعض الناس يسمع الكذبة هذه يعزم على السفر، فهز الناس هذه الهزة، هذا يعذب ثبت أنه يعذب، يصنع به هكذا إلى قيام الساعة.

ومنه عذاب منقطع- نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من شره كله-.

قوله: «وَالبَعْثُ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِيْنَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيْلَ عليه السلام فِي الصُّوْرِ، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١] ».

وهذا واضح لكل مسلم، الله يبعث هذه الخلائق بعد الموت بعد أن ينفخ إسرافيل في الصور، الصور قرن ينفخ الله أعلم بهيئته، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١] أي: يخرجون من هذه

القبور.

۞ **قال المصنف:** «وَيُحْشَرُ اَلنَّاسُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ اَلْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَيُحَاسِبُهُمْ اَللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتُنْصَبُ اَلْمَوَازِينُ، وَتُنْشَرُ اَلدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ اَلْأَعْمَالِ إِلَى اَلْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ اَلْأَعْمَالُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ فِي اَلْقِيَامَةِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اَللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنْ اَلْعَسَلِ، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ اَلسَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ اَلْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ اَلْفُجَّارُ.

وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَنْ دَخَلَ اَلنَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ اَلْكَبَائِرِ، فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وَحُمَمًا، فَيُدْخَلُونَ اَلْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَلِسَائِرِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَلَا تَنْفَعُ اَلْكَافِرَ شَفَاعَةُ اَلشَّافِعِينَ».

تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن جملة من مسائل القيامة بعد أن ذكر البعث:

منها الحشر وأن الناس يحشرون كما خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، والإنسان يأتي إلى هذه الدنيا حافيا بلا نعال، عاريا بلا ثياب غرلا - وتقدم بيان معنى قوله غرلا -، فيقفون في موقف القيامة في موقف هائل عظيم في يوم كان مقداره خمسينَ ألفَ سنة، فهذا الموقف العظيم موقف القيامة من المواقف التي جاءت النصوص بذكر أحوال متفاوتة كثيرة للناس فيها.

فمنهم - نسأل الله الكريم من فضله - من يظلهم الله تعالى في ظله، وهم السبعة المذكورون في الحديث.

ومنهم من يكون في ظل صدقته، الصدقة أمرها عظيم، حتى لو بشق تمرة، بقدر ما يكثر الإنسان من الصدقات ولو بشيء يسير بقدر ما يكون في ظل صدقته كما في الحديث: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ» بقدر ما يكثر من الصدقات بقدر ما يكون له من الظل.

يقفون في هذا الموقف وتظهر أحوال- نسأل الله ألا يفضحنا- تظهر أحوال كثيرة للناس ما كانت معروفة عنهم.

ومنهم الغادر فالغادر ينصب له لواء يقال هذه غدره فلأن ابن فلأن ويخص بها ويفضح في الخلائق عياذ بالله.

منهم المتكبرون- نسأل الله العافية- يحشرون يوم القيامة أمثال الذر، الذر هو النمل الصغير، النمل أنواع منه النمل الأسود ومنه النمل الأحمر اللون كأنه إلى الحمرة هو في أصغر أنواع النمل، لما تكبر وتفاخر في القيامة يحشر هذا الحشر يطؤهم الناس بأقدامهم.

كذلك من يكون له حال كئيب في القيامة الذي يمنع الزكاة يعذب بأنواع ما كان سواء كان صاحب إبل أو بقر أو صاحب أموال.

فأمر القيامة وأحواله وأهواله عظيمة جدا وهي من أعظم ما يعين المسلم على ترك الحرام، فمناظر النساء جميلة، والنفوس تميل إليها، ولهذا قال ﷺ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ»، لا شك في أن المنظر هذا مما يشد الناس، لماذا هذا المسلم يصرف نظره؟ لأجل مثل هذه المواقف، وهكذا المال، ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، في طرق كثيرة لتحصيله بالربا وبالشبهات وبالرشوة لكن المسلم يعلم أن وراءه مثل هذه المواقف.

كذلك القاطع لرحمه كذلك العاق لوالديه، كذلك الواقع في أمور من الفواحش ونحو ذلك، فالتأمل في مثل هذه المواقف يعينه على نفسه؛ لأن النفوس بحاجة إلى أن يعينك الله تعالى عليها في الدعاء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي تستعيذ بالله من شر نفسك تشكو نفسك إلى الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بك من شر نفسي.

الحاصل: أن الكلام على مواقف القيامة يطول، لكن فيه أعظم ما يعالج قسوة القلب بإذن الله تعالى.

❁ **قال المصنف:** «حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَيُحَاسِبَهُمْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

هذه الشفاعة العظمى، يأذن الله تعالى بالشفاعة بعد أن يطلبوا من آدم أن يشفع لهم عند ربهم فيحيلهم إلى نوح ثم يحيلهم نوح إلى إبراهيم ثم يحيلهم إبراهيم إلى موسى ثم موسى إلى عيسى ثم إلى محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليم كثيرا، فيقول أنا لها فيأذن الله تعالى بالشفاعة، فيحاسبهم الله.

❁ **قال المصنف:** «وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ».

يأتي الكلام على الميزان إن شاء الله.

❁ **قال المصنف:** «وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢]».

كل عبد له صحيفة أعمال تتطاير صحف الأعمال إلى إلى الإيمان والشمائل، من أخذ الكتاب بشماله فهو من الهالكين ومن أخذه بيمينه فهو من الناجين، إلى غير ذلك من الأحوال العظيمة التي فيها ما يلين القلب وفيها ما يحتاج معه الدعاة إلى الله، وخطباء المساجد إلى تنبيه الناس عليه والحاجة إلى الوعظ والتذكير به.

❁ **قال المصنف:** «وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩]».

ثم ذكر أن الميزان له كفتان لا يحيط بهما إلا الله عَزَّوَجَلَّ توزن به توزن فيه الأعمال، فمن ثقلت موازينه يرى بنفسه، مثل الكتاب ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، الله يعلم، لكن هذا من إقامة الحجة عليه، فينظر العبد ما الذي فعله.

وهكذا الميزان، توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فإن رجحت حسناته نجا ولو بحسنة واحدة، وان رجحت عياذ بالله سيئاته ولو بسيئة واحدة هلك إلا أن يرحم الله ضعفه، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، أعظم خسارة،

المال تخسره يُعوض، حتى الآل قد يموتون فتتزوج، لكن إذا خسر الإنسان نفسه نسأل الله العافية، نعوذ بالله من حال أهل النار.

قال المصنف: «وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ فِي اَلْقِيَامَةِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اَللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنْ اَلْعَسَلِ، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ اَلسَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

ثم ذكر أيضا جملة مما يكون في القيامة، من ذلك أن النبي ﷺ له حوض في القيامة، هذا الحوض، الحوض هو مجمع الماء والماء الذي فيه ليس ماء عاديا لأنه يمد من الجنة- نسأل الله الكريم من فضله-، ماءه صار على هذا الوضع أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدا لأنه ليس ماء عادي هذا الماء يرده الناس عطاشا فيحال- عياذا بالله- بين المرتدين وبين هذا الماء ويحال أيضا بين بعض العصاة ظاهر النصوص حتى بعض العصاة- عياذا بالله- يحال بينهم وبينه، وأصحاب البدع والإحداث أشد ذنب من أصحاب المعاصي، فلهذا تزودهم الملائكة ويطردون طردا كما يطرد الإنسان إبل غيره عنه حتى لا تختلط أبله بإبله، فهذا الحوض من ورده- نسأل الله الكريم من فضله- وشرب لم يظمأ بعده أبدا.

قال المصنف: «وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ اَلْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ اَلْفُجَّارُ».

ثم ذكر ما يتعلق بالصراط الصراط جسر يكون على متن جهنم- عياذا بالله من النار-، من تجاوز هذا الصراط سلم من النار، فيكون من أهل الجنة، ومن سقط من الصراط فهو من أهل النار عياذ بالله، الذي يسقط من هذا الجسر ويكون في جهنم، يتجاوزه الأبرار ويزل عنه الفجار أعاذنا الله من حالهم ومآلهم.

قال المصنف: «وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَنْ دَخَلَ اَلنَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ اَلْكَبَائِرِ، فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وَحُمَمًا، فَيُدْخَلُونَ اَلْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ».

ثم ذكر أن النبي ﷺ تشفع فيمن دخل النار من أمته، الشفاعات أكثر من نوع، للنبي ﷺ ومنها الشفاعة فيمن دخلوا النار، من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته ﷺ بعدما احترقوا فتصيبهم- عياذا بالله- النار حتى يكونوا فحما، مع أنهم مسلمون فما بالك بالكفار؟ الكفار أشد عذابا، فيدخلون الجنة بشفاعته ﷺ .

❁ **قال المصنف:** «وَلِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَلَا تَنْفَعُ الْكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ».

فتشفع الملائكة ويشفع الأنبياء ويشفع المؤمنون أهل الصلاح، وفي الحديث: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، طهر لسانك من اللعن، كثرة اللعن تكون سببا في ألا تكون شفيعا في القيامة، فيشفعون بإذن الله لأهل الكبائر ويخرجون من النار بإذن الله لأنهم من أهل التوحيد.

أما من كان مشركا فلا نجاة له، الذي يلقى الله مشركا يعبد غير الله أيا كان المعبود قبرا حجرا شجرا فإنه- عياذا بالله- أبعد الناس عن الشفاعة، ولهذا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». فيقولها من لسانه ويعمل بما يترتب عليها، من إفراد الله تعالى بالعبادة.

ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨] يشير إلى شرط الشفاعة وأن الله تعالى جعل للشفاعة شرطين:

❍ **الشرط الأول:** ذكره هنا وهو رضا الله عن المشفوع له.

❍ **الشرط الثاني:** هو المذكور في مواضع أخرى من كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو أن يأذن الله بالشفاعة.

ولهذا قال: «ولا تنفعون الكافر شفاعة الشافعين»، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

❁ **قال المصنف:** «وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ، فَالْجَنَّةُ مَأْوَى أَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابُ لِأَعْدَائِهِ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا مُخَلَّدُونَ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٤، ٧٥].

ذكر المستقر الأخير كما قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، بعد أن يقف

الناس هذا الموقف في القيامة يحاسبهم الله عَزَّوَجَلَّ فيصيرون على الفريقين، فريق في الجنة وهم الذين رحم الله تعالى ضعفهم وقبل أعمالهم فيدخلهم الجنة، والصنف الثاني من يكونون في النار والذين في النار كما علمت من التقسيم على نوعين منهم الكفار وهم باقون فيها أبد الآباد، ومنهم أهل الكبائر وهم الذين يخرجون من النار ويصيرون إلى الجنة.

والجنة والنار مخلوقتان الآن، وهذا فيه ردٌّ على المعتزلة، المعتزلة عندهم عجائب سبحان الله العظيم، قرروا ألا تكون الجنة والنار موجودتين، لماذا؟ قال هي لا تكون إلا في القيامة، ومن قال إنها إذا صارت لا تكون في القيامة أنها لم تخلق بعد، أرأيت النصوص؟

ألم يقل الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؟

وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]؟

وقال تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦] فذكر الله عذابين، عذابا في الغدو وفي العشي فترتين في أول النهار وفي آخره، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فيأتيهم أشد العذاب يوم تقوم الساعة، إضافة إلى الأحاديث الكثيرة التي ذكر النبي ﷺ أنه رأى فيها المعذبين رأى ﷺ بعض المنعمين وذكر أن المؤمن يفتح له في قبره باب إلى الجنة والكافر يفتح له باب إلى النار، الأدلة كثيرة جدا، فهؤلاء لا ينطلقون في نفيهم ولا حتى في إثباتهم، من منطلق علمي وإنما من مجرد ما تقرره أهواؤهم التي يسمونها عقولا.

والجنة والنار لا تفنيان أبدا، يبقيان أبد الآباد، ما هنالك فناء لا للجنة ولا للنار، الوارد في الفناء في النار، الصحيح أنه في الطبقة المتعلقة بأهل الكبائر، أنت علمت أن أهل الكبائر يخرجون بالشفاعة ويبقى منهم بقية يقول الله عَزَّوَجَلَّ شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع الصالحون ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرجهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى برحمته، انتهى جميع أهل الكبائر انتهوا من هذا المقام، وهي الطبقة العليا وهم أخف أهل النار عذابا، إذا خرجوا منها هذه الطبقة تفنى، لأن أهلها خرجوا منها، أما إبليس والشياطين وأهل الكفر فإنهم باقون فيها أبد الآباد، خالدين فيها أبدا، وما هم بخارجين من النار يستمرون فيها أبد الآباد فما ورد من أمر أنه يفنى شيء من النار هو المقصود به أنه إذا خرج أهل الكبائر،

أما إبليس وجنده من الجن والإنس فإنهم باقون فيها- عياذا بالله- أبد الآباد، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥] شدة وبقاء، ليبقى أبدا نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله من حال أهل النار، لا تفنيان فالجنة مأوى أوليائه والنار عقاب أعدائه.

قال المصنف: «وَيُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ».

ثم ذكر ما ثبت عن النبي ﷺ أنه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، والمقصود بالموت ليس الملك ملك الموت، إنما المقصود الموت نفسه نحن أحياء، ما رأينا الموت لكن كل من مات سيرى الموت، ولهذا في الحديث أنه يؤتى به في صورة كبش أملح فيقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا؟ فيقولون نعم، يقول ﷺ وكلهم قد رآه، لأنهم يرونه قبل أن يموتوا، فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم- نسأل الله الكريم من فضله-، ويا أهل النار خلود فلا موت فيزدادون- عياذا بالله- تعاسة إلى تعاستهم، أنهم يأملون الموت غاية أمانيهم أن يموتوا، فإذا ذُبح الموت علموا أنهم باقون أبد الآباد، وهذا في أهل الكفر.

قال المصنف: «فَصْلٌ: وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ، صَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَهُوَ إِمَامُ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبُهُمْ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ، أُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ».

هذا الموضع في حقوق رسول الله ﷺ ومقامه عند الله تعالى وعند المؤمنين فهو خاتم النبيين فلا نبي بعده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو سيد المرسلين وإذا كان سيد المرسلين فهو سيد بني آدم جميعا لأن أفضل بني آدم هم الرسل فهو سيدهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الإطلاق فهو أفضل الأنبياء على الإطلاق لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، فالذين أدركوا النبي ﷺ، وكانوا مستمسكين بما عليه موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام، فإنه لا يصح إيمانهم إلا إذا آمنوا بمحمد ﷺ، لأن رسلهم قد أخذت عليهم الميثاق إن بعث الله محمدا ﷺ أن يتبعوه، فمن لم يتبعه فقد كفر بذلك النبي وبمحمد ﷺ، حتى لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته

ويشهد بنبوته وهو أنه نبي الرسول ﷺ، جمع الله له تعالى بين النبوة والرسالة، ولا يقضى في قيامته بين الناس إلا بشفاعته كما تقدم، وأول من يدخل من الأمم الجنة أمته من فضل الله ومنته- نسأل الله الكريم من فضله-، مع أنها آخر الأمم إلا أنها أول الأمم دخولا لكرامة نبيها وكرامتهم على الله.

صاحب لواء الحمد، يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته، يقول: «وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ» عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الحديث الصحيح.

والمقام المحمود: هو الشفاعة العظمى التي يحمدها يحمده عليها الخلائق لأن الله يقبل شفاعته.

قال المصنف: «وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَى -رضي الله عنهم أجمعين-؛ لِمَا رَوَى عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ[1]، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ.

وَصَحَّتْ الرِّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الثَّالِثَ.

وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ». وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَتَقْدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ -رضي الله عنهم-، وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ اللهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رضي الله عنه لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إلَيْهِ، ثُمَّ عُثْمَانُ رضي الله عنه لِتَقْدِيمِ أَهْلِ الشُّورَى لَهُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِفَضْلِهِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيهم: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ». وَقَالَ ﷺ: «الْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً». فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

وَنَشْهَدُ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ، كَمَا شَهِدَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ،

---

(١) **قال الشارح وفقه الله:** قوله: «ثُمَّ عَلِيٌّ»، خطأ، غير موجود في الصحيح، كيف دخلت في هذه النسخة؟ هذا غلط.

وَعُثْمَانُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي اَلْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي اَلْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي اَلْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ اَلْجَرَّاحِ فِي اَلْجَنَّةِ».

وَكُلُّ مَنْ شَهِدَ لَهُ اَلنَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ شَهِدْنَا لَهُ بِهَا، كَقَوْلِهِ ﷺ: «اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ»، وَقَوْلِهِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ.

وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، إِلَّا مَنْ جَزَمَ لَهُ اَلرَّسُولُ، لَكِنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَى اَلْمُسِيءِ».

تكلم بعد ذلك عن أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ، وقد اتفق المسلمون على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هم الذين اختارهم الله ليبعث بينهم وهم الصحابة، وهم الذين قال الله ونزل وهم أحياء ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهم الصحابة أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهم على درجات منهم المهاجرون ومنهم الأنصار منهم أهل بدر، منهم من أمن قبل الفتح ومنهم من آمن بعد الفتح- وهو صلح الحديبية-، أفضل الأمة على الإطلاق بعد النبي ﷺ، هو أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنه، وهذا محل اتفاق أهل السنة لا يخالف فيه إلا الروافض، عثمان رضي الله عنه على الصحيح هو الثالث، وهذا الوضع معلوم زمن النبي ﷺ، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ.

وقوله: «**ثُمَّ عَلَيٌّ**» هذا غلط، نعم عليٌّ- كما سيأتي- هو الرابع بعدهم، لكن هذه ليست في كلام ابن عمر، وإنما هي من الأخطاء التي في النسخ، حتى في بعض النسخ السابقة لم تكن فيها هذه الكلمة، فقد يكون الخطأ من الطابع أنه يعلم أن ترتيبهم هكذا، قال: ثم علي، لكن هذا لفظ ابن عمر في الصحيح، وليس فيه «ثم علي».

المهم فيه هذا الموضوع أن هذا هو التفضيل الوارد في زمن رسول الله ﷺ وهو مستقر عند الصحابة، رضي الله عنهم.

قوله: «**فَيَبْلُغُ ذَلِكَ اَلنَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ**» هذه الزيادة صحت أيضا، أن النبي ﷺ يسمع هذا ولو كان هذا من الباطل لما أقره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

من أهل العلم من قال إن عليا أفضل من عثمان، ولا شك في أن هذا قول ضعيف، وإن كان قال به

بعض أهل العلم لكن الذين قال إن عليا أفضل من عثمان لا يتعرضون مطلقا لتفضيل علي على أبي بكر، يقول أهل العلم من فضل عليا على أبي بكر وعمر فهو رافضي يعد من الروافض، لأن هذا أمر متفق عليه، وثبت عن علي من وجوه ﷺ أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، هذا أمر معلوم مستقر عند المسلمين، جاءت مسألة التفضيل بين علي وعثمان ﷺ، فمن أهل العلم قال عثمان على فضله لكن هو الرابع، والصحيح أن عثمان هو الثالث لهذا الأمر المستقر في زمن النبي ﷺ، ولأمر آخر عظيم وهو أن الصحابة ﷺ بعدما جعل عمر ﷺ الأمر في أهل الشورى الستة ومنهم عثمان وعلي اتفقوا جميعا بعد أن انحصر الأمر في عثمان وعلي اتفقوا كلهم ولم يخالف في هذا واحد، على تقديم عثمان على علي، مما يدل على أنه مستقر هذا الأمر، أن عثمان أفضل من علي ﷺ أجمعين.

وذكر ما يتعلق بتفضيل علي ﷺ لأبي بكر وعمر على نفسه، وهذا أمر معلوم.

ترتيبهم في الفضل مرتبط بترتيبهم في الخلافة، فلأن أبا بكر أفضل الصحابة جعلوه الخليفة بعد رسول الله ﷺ، ولأن عمر بعد أبي بكر هو الأفضل، عينه أبو بكر، ولأن عثمان هو الأفضل بعد عمر اتفقوا عليه وعينوه، ثم لما بقي بعد قتل عثمان ﷺ، بقي الأمر الصحابة بايعوا عليا مباشرة ﷺ، دل على ترتيبهم في الفضل أن ترتيبهم في الفضل مربوط بترتيبهم في الخلافة عليهم الرضوان، واتفقوا جميعا على بيعة الثلاثة قطعا أما فيما يتعلق بعلي فما تأخر أحد عن بيعته وقال إن عليا لا يستحق لكن جاءت مسألة قتل عثمان ﷺ وهي فتنة عظيمة لم يكن للمسلمين بها عهد حتى قتل عمر، وقاتل عمر كافر هذه مسألة لكن يأتي أناس يزعمون أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقتلون خليفة المسلمين في المدينة هذا أمر لا يعهد نازلة من النوازل فلهذا كان بعض الصحابة يقول لا بد من قتل القتلة أولا، وعلي ﷺ وعنهم أجمعين يقول لا يمكن أن يُقتلوا حتى يستقر الأمر فمن ذلك نشأ الخلاف، أما أن أحدا يقول علي لا يستحق ما فيه مطلقا، كلهم أي: طلحة والزبير بايعها أصلا، معاوية ﷺ ثبت عنه بسند صحيح أنه لما قال له أبو مسلم الخولاني أتقاتل عليا أفأنت مثله؟ قال والله إني لا أعلم أنه خيرا مني وأولى بالخلافة مني، ولكن ألا تعلمون أن عثمان ابن عمي وأنا ولي دمه فليدفع إلي القتلة وأنا أسلم له، فكانت المسألة ليست في أصل خلافة علي، وإنما في الخلاف في قتل قتلة عثمان ﷺ.

والواجب الترضي عن الصحابة جميعا، دون استثناء مطلقا، كل من ثبت له شرف الصحبة والصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك، كل صحابي فلا يحل التعرض له

مطلقا مهما كان منه، كما سيأتينا أنه يجب الكف عما شجر بينهم ﷺ.

ثم قال: «**وهؤلاء**» أي: الأربعة الخلفاء الراشدين وهم مذكورون في حديث: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ اَلْمَهْدِيِّينَ»، ودل عليه قوله ﷺ: «اَلْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً» إذا حسبت خلافة أبي بكر ﷺ سنتان، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة، والبقية خلافة علي، ومن أهل العلم من يقول إنه بقي ستة أشهر هي التي تمت بها بيعة الحسن ﷺ، وكثير من أهل العلم على أن الخلفاء الراشدين هم هؤلاء الأربعة.

الواجب في حق هؤلاء الصحابة ﷺ هو إحسان الاعتقاد والقول فيهم وسلامة القلب واللسان سلامة اللسان بأن لا يتعرض لهم باللسان وتسلم القلوب من بغض أو كراهية أحد منهم ﷺ لأن الله أمر من يأتون بعدهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] فأمرهم الله بالاستغفار لهم، فالواجب أن تطهر الألسن القلوب من أي مذمة للصحابة ﷺ وصار الصحابة كما ذكرنا موضوع الصحبة الموضع الممايزة توضح السني من الرافضي قد تقول الرافضي واضح الروافض مثل الخميني وأصحابه الرفض درجات عياذا بالله، منه أن يتعرض لصحابي واحد، حتى لو كان في جميع أبواب الاعتقاد سلم المعتقد، وكان في باب الصحابة كلهم سليما لكنه تعرض لمعاوية، هذا يكفي أن يجعل به رافضيا، ولا يكون رافضيا مثل الرافضة، لكن يقال فيك رفض مثل ما ذكرنا في التجهم أن فيه تجهم، ولهذا لما قيل لأحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن رجلا يتعرض لعثمان ﷺ قال ما أراه على الإسلام، أحد يتعرض لعثمان؟ كيف يتعرض لعثمان؟ هذا رجل يقول لا أظنه مسلما، ولما قيل له إن رجلا ينال من معاوية أن يصلى خلفه قال لا ولا كرامة، أي: ما يستحق كيف يصلى خلفه؟ معاوية عمرو أبو هريرة فلان أيًّا كان، من الصحابة ﷺ هؤلاء شرفهم الله بصحبة رسول ﷺ فالواجب الكف عنهم وعدم التعرض لهم؛ لأن سبحان الله دائما جملة من المسائل يا إخوة في العقيدة توضح السني من البدعي في بعض الناس عنده استعداد يثني على أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار لكن يقول معاوية لما ولّى يزيد، ولما فعل، فكل هذا لا يحل، هل أخطأ أحد منهم؟ ومن قال إنهم لا يخطئون؟ موضع عصمتهم أن يتفقوا على أمر، إما أن يتصرف أحد منهم تصرفا يصيب فيه أو يخطئ يقع منه معصية، نعم لأنهم بشر، لكن انظر بحور الحسنات التي لهم، فاختيار الله لهم ليكونوا أصحابا لمحمد ﷺ، كون الإسلام وصل إلينا بفضل الله عَزَّوَجَلَّ ثم بفضل

الصحابة، وين وصل الإسلام إلينا؟ مثلا هنا في نجد، وين وصلنا منه؟ الصحابة ﷺ لما وقعت الردة، جاء الصحابة وقعت هنا في الجُبيلة من الصحابة ﷺ عدد كبير جدا حتى أخمدوا الردة، طيب من حمل الإسلام للفرس والروم وأنواع البشر إلا الصحابة ﷺ، بحور بحور من الحسنات لا تقل أسلم على يد فلان من الصحابة فلان، لا، أسلم فلان وتسلسلة ذريته أربعة عشر قرنا إلى ما شاء الله، كل هؤلاء أسلموا كانوا قبل مجوس، أو وثنيين أو نصارى أو يهود، كل هؤلاء في حسناته ﷺ، الحاصل أن الصحابة لا يتعرض لهم ذو إيمان، إلا من في قلبه دغل ونفاق أو عنده جهالة وضعف في إيمانه، فالواجب ألا يُتعرض لهم مطلقا.

هل نشهد لأحد منهم بالجنة؟ نشهد لمن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، ويوم العشرة المذكورون في الحديث، وهكذا كل من شهد له النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة كالحسن والحسين وثابت بن قيس وبلال وغيرهم ﷺ، وأي أحد يثبت عن النبي ﷺ أنه شهد له بالجنة فإنه يشهد له بالجنة.

ولهذا قال بعض أهل العلم إن زوجات النبي ﷺ في الجنة لماذا؟ لأنهن معه في الجنة عليه الصلاة السلام وقد أمره الله بأن يخيرهن: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، فاخترن النبي ﷺ وبقين في حال من شدة العيش وشظفه وصعوبته فكافأهم الله عَزَّوَجَلَّ بأن يكن معه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فمعلوم أن زوجة المؤمن التي تكون مؤمنة أنها تكون معه، فلذلك هن في الدرجات العالية رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن.

ثم قال: «وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ» القبلة ولو كان من الصالحين والأئمة الأخيار ومن بلغ عدله مثل عمر بن عبدالعزيز أو إمامته مثل أحمد بن حنبل أو نحوه، لا نستطيع أن نقول أحمد بن حنبل في الجنة، هذا الصحيح، لأن أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وما عندنا حديث منصوص.

ولا نجزم أيضا لأحد من أهل القبلة بأنه من أهل النار حتى لو كان في المعاصي بالغا ما بلغ، إنما نشهد بالنار لمن عينتهم النصوص، ومن مات على الكفر، أي: من نعلم أنه مات على الكفر كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، يموت على الكفر يقينا هو من أهل النار.

فالحاصل: أن الشهادة لا تكون إلا عن نص منصوص، ومهما بلغ الإنسان من الصلاح لا يشهد له بالجنة، ومهما بلغ وهو من أهل القبلة، من الإسراف على نفسه والمعاصي فلا يجزم له بالنار.

قال: «إِلَّا مَنْ جَزَمَ لَهُ اَلرَّسُولُ» فإذا جزم الرسول ﷺ لأحد بجنة أو نار فإنا نجزم له كما جزمت النصوص بأن أبا لهب في وبأن أبا جهل في النار وبأن فلانا وفلانا من أعداء النبي ﷺ وكل من مات على الكفر فإنه يكون من أهل النار، يبقى من لم يبلغه الإسلام من أهل الكفر هذا الذي لم يبلغه الإسلام وضعه آخر يمتحن في عرصات القيامة، أما من بلغه الإسلام يقول ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

قال: «لَكِنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَى اَلْمُسِيءِ» المسلم المحسن يرجى له رجاء بدون جزم، ونخاف على المسيء خوفا ولا نقطع ومع ذلك يرجى له أن الله يعفو عنه بتوحيده.

۞ قال المصنف: «وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَنَرَى اَلْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيَيْنِ مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، برًا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَصَلَاةُ اَلْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ، قَالَ أَنَسٌ: قَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ : «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ اَلْإِيمَانِ: اَلْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ، وَلا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلا نُخْرِجُهُ مِنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اَللهُ عَزَّوَجَلَّ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي اَلدَّجَّالَ، لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ».

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب» يكون من أهل القبلة، وإذا كان من أهل القبلة فهو مصل، ولهذا يسمى أهل الإسلام بأهل القبلة ويسمون بأهل الصلاة، فإذا كان من المصلين فإنه لا يكفر بذنب والمقصود بالذنوب المعاصي الكبائر كالزنا وشرب الخمر، أما إطلاقا أنه لا يكفر بأيّ ذنب فخطأ، وأنكره الإمام أحمد، ولهذا لما قال رجل له مثل هذه المقالة، قال أحمد: اسكت، ترك الصلاة كفر، فالمقصود إن كان بقول لا نكفر أحدا من أهل القبلة ممن يصلون نعم لا نكفره بذنب، أما من ترك الصلاة فالصحيح أن ترك الصلاة كفر ولا يدخل في هذه الحالة على الصحيح في أهل القبلة.

قال: «وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ» من هذه المعاصي والذنوب.

قال: «**وَنَرَى الْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيَيْنِ مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا**» الحج ما يصح أن يقوده إلا إمام، ما ينصح مجموعة يقول الإنسان نرتب الحج نحن، فينا كثرة وفينا قوة ونحن لا ما يجوز، ولو فعلوا هذا لكانوا قد شقوا الجماعة، الحج له قيادة، ولهذا عندنا في المملكة، تشعر أن الأمور مهيئة وتمشي مع حمله، الحج لا بد من أن له أميرا يعين من قبل الملك، لا بد يعين أميرا يقوم على الحج، أيضا هناك قضاة توجد مشاكل يوجد من يموت في أثناء الزحام فهؤلاء تظن أنهم يؤخذون ويرمون في القبور لا، هؤلاء أحوالهم إذا كان هناك أحد تسبب فإن القاضي يجعل الدية على غيره وإذا لم يتسبب فكان عثمان ﷺ يجعل ديته في بيت المال الأمور ما تكون هكذا الحج ينطلق به الناس، نفس الشيء الجهاد والجهاد أخطر أيضا، الجهاد لا بد من أن يكون بإذن ولي الأمر هو الذي يحدد هل الوقت للجهاد مناسبة أو لا أو تفتح عليه الأمم بكرة؟ تجمع عليه أنواع الشرق والغرب فتحت له الباب حتى يهاجمونا ونحن في وطن غير صحيح، لا يصح ولا يجوز لا بد من إذن الإمام هذا الذي عليه أهل السنة، والمخالف في هذا الحقيقة أنه من العجائب، وهم الخوارج عادة، لكن في هذه الأزمنة صاروا يقولون نحن نريد أن نقوم به، أنت تعلم أنك إذا شننت الجهاد وشننت الغارة على بلد من البلدان، أنه قد يترتب عليه حرب عظيمة جدا على بلاد المسلمين قد يعجز المسلمون عن ردها، لهذا أمر الحج وأمر الجهاد، تقديره للولاة، أما موضوع الحماس والضيق بما يقع للمسلمين فهذا في نفس كل مسلم، ومن مقهور قهر مما يفعله أعداء الله تعالى من كفرة الشرق والغرب والتلاعب بهم بأحوال المسلمين، لكن شن الغارة وشن الجهاد يكون موكولا إلى ولاة الأمر، لا يخالف في هذه الحقيقة أحد من أهل السنة ينصون عليه نصا نص عليه الأئمة دائما.

أما الحديث الذي أورده فضعيف، ويغني عنه نصوص أخرى.

قوله: «**بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا**» أي: لا نترك الحج نقول الذي يقوم بالحج الآن رجل فاجر عنده مثلا شرب خمر أو غيره، ما يترك الحج معه، لأجل فجوره، فجوره عليه، الجهاد إذا أمر بالجهاد نقول نجاهد مع شخص يشرب الخمر؟ نعم تجاهد معه، كما قال ابن عباس ﷺ لما سأله رجل قال إن هؤلاء الولاة يجاهدون على الدنيا، أي: مقصدهم هو الغنائم منها، قال جاهد أنت على نصيبك من الآخرة، أن تريد الآخرة جاهد معهم بنيتك، إما أن تترك الجهاد معهم فلا يجوز.

إذًا فالحج والجهاد وسائر الشعائر العظام منها صلاة الجمعة، صلاة الجمعة أيضا الأصل أن تكون

للأئمة، وكان الخلفاء هم الذين يتولونها وكذلك صلاة العيدين، إلا إذا ولوا، الآن المساجد كثيرة، أو ولّى ولي الأمر نعم في هذه الحالة صلى خلف من ولاه، ونفس الوضع ما تترك الصلاة خلفهم نقول لأن هذا فيه كذا وكذا لأنه إلا إذا كان عليه ملحظ عقدي أو شرعي فأنت ترفعه إلى نفس ولي الأمر، تقول هذا الشخص عند فساد عقدي عنده كذا وكذا حتى يغيره ولي الأمر، إما أن تترك الجمعة لا ما تترك، ولا يترك العيدان ولا يترك الحج هذه شعائر الإسلام الكبار لو تركت لتعطل الإسلام.

قال المصنف: «وَمِنَ السُّنَّةِ تَوَلِّي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَذِكْرُ مَحَاسِنِهُمْ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وَالْكَفُّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِئِهِمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَاعْتِقَادُ فَضْلِهُمْ، وَمَعْرِفَةُ سَابِقَتِهِمْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] وقَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح:٢٩]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

وَمِنَ السُّنَّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْوَاجِ الرَّسُولِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطَهَّرَاتِ الْمُبَرَّآتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، أَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَمُعَاوِيَةُ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اللهِ، أَحَدُ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ رضي الله عنهم».

تكلّم بعد كذلك عن الصحابة وهذا الحقيقة في الترتيب كان الذي ينبغي أن يتكلم عن الصحابة حتى ينتهي الكلام في الصحابة ثم يُتكلم عن الولاية ولاية الأمر؛ لكن هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدخل هذه الجملة بين يعني في أثناء كلامه عن الصحابة؛ فقال: «**ومن السنة**» هنا (من السنة) المقصود العقيدة من الاعتقاد الذي من خالفه ابتدع؛ وليس المقصود من السنة التي يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها، لا؛ إنما المقصود بالسنة في باب الاعتقاد هذا من السنة كذا المقصود به في باب الاعتقاد العقيدة الحقّة التي من خالفها فإنه مبتدع.

قوله: «تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم»، الاعتقاد يُوجب أن تتولّى جميع الصحابة، يقول تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة:٧١]؛ فالأصل أنك تتولّى المؤمنين جميعا، هؤلاء خيار

المؤمنين فتتولاهم أجمعين بدون استثناء، ويلزمك محبتهم جميعًا؛ فتُحب عليًا ومعاوية ﷺ معًا؛ ولهذا لما قيل لبعضهم إنه لا يجتمع حُبّ علي وحبّ عثمان في قلبٍ واحد، قال: (وجدنا ذلك في قلوبنا)، أن قلبك مريض وقلبك قذر نجس؛ فإذا لم تستطع ذلك؛ فإنك رافضي أو ناصبي، إمّا تُبغض عليًا وإمّا تُبغض عثمان، أما السُنّي -فبحمد الله ومنّته- قلبهُ يتّسع لمحبة آل بيت رسول الله ﷺ ولأصحاب رسول الله ﷺ دون تفريق، «**وذكر محاسنهم**» تذكر المحاسن، إذا تكلّم الناس عن مساوئ فلأن تقول قبّح الله ما فعلتم، له محاسن ﷺ كذا وكذا وكذا، وتذكر من محاسنهم وستجد من محاسنهم شيئًا كثيرًا جدًّا -ولله الحمد- ينغمر فيه ما يُذكر من مساوئهم، لا يجوز نبش المساوئ هذه؛ فإنهم ﷺ يجب أن يقال فيهم بالجميل والله تعالى قال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]؛ لهذا قالت عائشة ﷺ: (أُمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم)، الله تعالى في القرآن أمرك أن تستغفر لهم، قال ابن عباس ﷺ: (إن الله أمر بالاستغفار لأصحاب محمدٍ ﷺ وقد علم أنهم سيقتتلون) -يعني يقول لا تتفلسف- الله عَزَّوَجَلَّ يعلم الغيب، يعلم أن عليًا سيُقاتل معاوية، ويعلم أنه سيقع قتال بين علي وبين طلحة والزبير رضي الله عن الجميع، ومع ذلك أمرك أن تستغفر لهم بنص القرآن، والحديث الذي مرّ معنا: «**أبو بكرٍ في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة**» في حديث واحد، والله يعلمُ أنهم سيقتتلون، إذًا ليس لك أن تخوض مثل هذه الأمور؛ وإنما تذكر الجميل والحسن مما يتعلق بالصحابة ﷺ، والاستغفار لهم والكفّ عن ذكر مساوئهم، تكفّ عن ذكر ما وقع، وقع فلأن كذا وقع منه في التاريخ الفلاني ثبت بسند صحيح أنه قال كذا، هو بشر، والله أمرك أن تستغفر له وأن تكفَّ عن التعرض له، وقال النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»، **المُدّ**: ربع صاع، والنصيف: أي نصف هذا الربع، ثمن الصاع من الواحد منهم، لو أنك أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا ما يقال مقارب، لا مقارب، ما تبلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه، إسلام حملوه على أكتافهم رضي الله تعالى عنهم أتاك الإسلام ولله الحمد جليًا بينًا واضح المعالم، وقد قُتل من الصحابة ﷺ في الفتوحات في الجهاد، سواءٌ مع النبي ﷺ أو في الفتوحات لاحقًا، من لا يُحصيه إلا الله وجرح منهم من لا يُحصيه إلا الله، كل هذه في بحار حسناتهم ﷺ، أنت ما عندك تقول في اليوم الفلاني قال معاوية كذا أو قال علي كذا هؤلاء بشر، يقع منهم ما يقع رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وقلنا لك

إن الله تعالى نهى النبي ﷺ عن الدعاء على سُهيل وعلى صفوان وعلي أبي سفيان وهم كفار لم يُسلموا بعد، وقد فعلوا بالمسلمين في أُحد ما فعلوا، وقال أبو سفيان وقهر المسلمين قهرًا: (لنا العُزى ولا عُزى لكم... إلى آخره) حتى اغتاظ المسلمون غاية الغيظ؛ فدعا النبي ﷺ على هؤلاء وصار يلعنهم بعد الركعتان من صلاة الفجر فأنزل العليم الخبير، الذي يُعلم أنهم سيُسلمون: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٨] ؛ فإذا قيل النبي ﷺ : ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ وهم كفار ذاك الوقت يعني لو ظُفر بهم لجاز قتلهم بلا شك؛ لكن لأن الله يعلمُ أنهم سيُسلمون، نهى الله نبيه ﷺ عن الدعاء عليهم وهم كفار؛ لأنه يعلم أنهم سيتشرفون بالإيمان وبصحبة رسول الله ﷺ ؛ فكيف يتعرض أحد لمثل هؤلاء؟ وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤] ، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠] ، كل من يأتي بعدهم لا بُدّ أن يتبعهم، ويتبع بإحسان حتى يرضى الله عنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهكذا ما يتعلق بأسماء الصحابة رضي الله عنهم ما سماهم الله، وعد الله لهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩] ، وقال عَزَّوَجَلَّ عامًا جميع الصحابة بالوعد بالجنة: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد:١٠] ، كلهم موعودون بالجنة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم؛ ثم كما قال شيخ الإسلام في «الواسطية»: (تنغمر سيئة الواحد منهم في بحور حسناتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم لا يتعرض للصحابة إلا إنسان في قلبه دغل)، قل لهذا انظر من الذي يتعرض للصحابة؟!! أخبث فِرق الأمة على الإطلاق «**الرافضة**»؛ أخبث الفرق هي اللي تتعرض للصحابة سبحانه الله يعني المعتزلة على خُبث مُعتقدهم، كثير منهم إذا جاء الصحابة رضي الله عنهم صاروا في باب الصحابة بل ردوا على الرافضة، الصحابة باب عظيم من أبواب الاعتقاد، كيف يتعرض للصحابة رضي الله عنهم بالمذمة! ولا سيما على الطريقة الخبيثة التي عليها هؤلاء من تكفير جميع الصحابة وقذف أمهات المؤمنين من الأمور التي تُدرك بها أن هذه النِحلة في أصلها أنها كما قال شيخ الإسلام: (أنها وضعها يهودي -وهو عبد الله بن سبأ الخبيث-).

فالحاصل: أن التعرض لأصحاب رسول الله ﷺ هذا من دلائل خُبث المعتقد وفساد نية وما عليه هذا الإنسان؛ وإذا كان على أحسن حال أن بلغ في الجهالة ما لا يُحصيه إلا الله، تجد يعني من

يتوب من الرفض من الشيعة ينهالون يعني ينهمرون بُكاءً وندمًا يقول كيف حياتي وأنا أسُبّ سادتي وخياري؟ -يعني سبحان الله العظيم- الآن إيران هذه التي ينطلق منها السبّ وتوجيه السبّ لأصحاب رسوله ﷺ رضي الله عن عمر هو الذي أنقذكم، كان أجدادكم مجوسًا يعبدون النار وكان فيكم خصلة من أقذر الخصال ليس موجودة لا في الهند ولا في الصين ولا في الفُرس ولا في الترك ولا في الروم، كان الفُرس الكفار طبعًا نحن لا نتحدث عن الفرس الآن منهم عدد كبير من أهل الحق وأهل الإسلام؛ لكن نقول الآن هؤلاء الذين يشنون الحملة على عمر رضي الله عنه كان أجدادهم من المجوس عُبّاد النار يتزوجون محارمهم -عياذًا بالله- يتزوج الواحد منهم أُمّه هذا ما حصل، يتزوج بنته فكتب عمر كما في «البخاري»: (أن فرّقوا بين كُل ذي رحمٍ من المجوس)، حتى لو كان مجوسيًا ما يقول هذا ديني، لا ما يمكن، فانقطعت هذه، ثم هو الذي أدخل على أجدادكم الإسلام، كانوا مجوسًا يعبدون النار وبقوا على هذا مدةً طويلة.

الحاصل: أن الواجب الكفّ عمّا وقع من الصحابة رضي الله عنهم ما زلّت به اجتهادات، وما يُعلم أنهم كانوا مجتهدين بين مُجتهدٍ أصاب رضي الله عنهم وبين مجتهدٍ أخطأ ينغمر خطؤه في بحر حسناته رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ثم أورد قوله عز وجل في الاستغفار لهم، وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح:٢٩] إلى آخره الآية؛ ذكر الله أمرهم في التوراة: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ﴾ [الفتح:٢٩]؛ ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح:٢٩]؛ ثم قال: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾ [الفتح:٢٩]، ما يغتاظ من الصحابة إلا كافر ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾ [الفتح:٢٩]؛ بيّن تعالى أن لا يغتاظ المؤمن فيقول: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]، أما يأتي شخص يغتاظ من الصحابة على ماذا؟! كان رسول الله ﷺ مُستضعفًا في مكة، فأعانه المهاجرون رضي الله عنهم بما استطاعوا، ثم هاجروا وتركوا أموالهم وديارهم إلى مكة غُرباء فقراء، ثم آواهم الأنصار رضي الله عنهم ورمتهم العرب عن قوسٍ واحدة؛ ثم جاهدوا حتى أخضعوا الجزيرة العربية ودخلها الإسلام كاملةً؛ ثم واصلوا رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم حتى أوصلوا الإسلام إلى المشارق والمغارب، من يبغضهم؟! الكافر، هو اللي يغتاظ منهم، الذي لا يروق له أن ينتشر الإسلام، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾ [الفتح:٢٩].

ثُم ذكر الحديث: «لا تسبوا أصحابي»، ثُم تكلّم عن أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن

وأرضاهن وهن زوجات رسول الله ﷺ وهذه التسمية أمهات المؤمنين تسمية عظيمة جدًّا، كيف يسب المؤمن أُمّه؟ وهذه الرابطة ربطها الله تعالى بنبيه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٦] ؛ فإذا قال ليست أمي؛ فكما قالت أمّنا رضي الله عنها عائشة لما قيل لها إن رجلًا يعني نال منك وسبّك؛ فقيل لها أتسبّ أُمّك؟ قال: ليست أمي، قالت: صدق أنا أمّ المؤمنين أمّا الكافرون فلستُ لهم بأمّ؛ صادقة رضي الله عنها وهذا من فقهها؛ لأن الله جعلها أمًّا للمؤمنين؛ فقال: ليست لي بأم، -أنت أعلم بنفسك-، الذي يقول عائشة ليست بأمي -نقول أنت أدرى بنفسك-؛ لكن شهدت على نفسك بالكفر؛ لأنها أمّ المؤمنين بنصّ القرآن، فإن كانت ليست أمًّا لك نعم هي ليست أمّ اليهود ولا النصارى ولا المجوس، كونك واحدًا منهم مُندسًّا بين المسلمين هذا وضع آخر، أمّا من كان مسلمًا فهذه أمّه، جميع زوجات النبي ﷺ أمّهات للمؤمنين بنصّ القرآن وأزواجه أمّهاتهم، مُطهراتٌ مبرّآتٌ من كل سوءٍ رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور:٢٦]؛ فاختار الله لأطيب الطيبين، الطيبات رضي الله عنهن من أمهات المؤمنين.

أفضلهم خديجة وعائشة لاحظ كيف فعل؛ لأن هناك خلاف ما بين أهل العلم هل الأفضل خديجة أو عائشة؟ منهم من يقول خديجة ومنهم من يقول عائشة؛ فقال خديجة وعائشة، يعني كأنه يقول بعض أهل العلم يقول إنهما في الفضل سواء، ومنهم من يُقدّم عائشة، ومنهم من يُقدّم خديجة؛ فقال: أفضلهم خديجة وعائشة رضي الله عن الجميع التي برّأها الله في كتابه وهي زوج النبي ﷺ ؛ فمن قذفها بما برّأها الله منه؛ فقد كفر بالله العظيم، من قذفها -عياذًا بالله- بالفاحشة؛ فأنزل الله تعالى براءتها وقال تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور:١١] ؛ فبقي ذكرها رضي الله عنها يُتلى في سورة النور إلى قيام الساعة، وهنا دخل عليها ابن عباس رضي الله عنهما وقال: (أنزل الله عُذرك من السماء فلا يزال يُقرأ به في مساجد المسلمين إلى قيام الساعة)، تبقى أي أحد يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ [النور:١١] ما الإفك؟! من هو الذي رومي؟! فيقال هذه أم المؤمنين وأنزل الله براءتها فتعظُم قيمتُها رضي الله عنها وهي عظيمةٌ رضي الله تعالى عنها.

قوله: «**من قذفها بما برأها الله فقد كفر**»، وهذه العبارة بإجماع المسلمين، ويذكرها الفقهاء في موارد الإجماع، أن من قذف عائشة بعد أن برّأها الله تعالى مما قذفها به من قذفها من الفاحشة أنه يكون كافرا؛

لأنه كذّب القُرآن، الذي برّأها الله تعالى فيه، لهذا قال بعد ذلك: «**ومعاوية خالُ المؤمنين**»؛ خال المؤمنين قال لأنه أخو أمّ حبيبة -رملة بنت أبي سفيان- هي أُخته، من أهل العلم من يقول كما إنهن أمهات للمؤمنين فإخوانهن أخوال للمؤمنين ومعاوية رضي الله لماذا نص على معاوية عمدًا، وإلا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما خال للمؤمنين هو أخو حفصة وهكذا غيره ممن يكون أخًا لزوجة من زوجات رسوله ﷺ ؛ لكن معاوية لأنه يتناولهُ أعداءُ الله تعالى بالمذمة، قال: «خال المؤمنين»؛ كما أن أم حبيبة أم المؤمنين، ومن أهل العلم يقول لا لا يتعدّى قول الله عَزَّوَجَلَّ في زوجات الرسول ﷺ أنهن أمهات لا يعني أن أخواتهن خالات للمؤمنين، وأن إخوانهن أخوال ومنهم من يقول بلى، ثم قال: «**وكاتب وحي الله**»؛ لأن النبي جعلهُ في كُتاب الوحي أحد خلفاء المسلمين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

❁ **قال المصنف:** «**وَمِنْ اَلسُّنَّةِ اَلسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ اَلْمُسْلِمِينَ وَأُمَرَاءِ اَلْمُؤْمِنِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةِ اَللهِ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اَللهِ، وَمَنْ وَلِيَ اَلْخِلَافَةَ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ، وَرَضُوا بِهِ، أَوْ غَلَبَهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً، وَسُمِّيَ أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ، وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِ، وَشَقُّ عَصا اَلْمُسْلِمِينَ**».

تكلّم عن أمر السمع والطاعة لأئمة المسلمين، والمراد (بالأئمة): الحُكّام، ملوكًا رؤوس أُمراء مؤمنين خُلفاء تختلف المهم أن يكون قد ولي أمر المسلمين، «**لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم**»، يُسمع له ويُطاع حتى لو كان فاجرا، أمّا البرّ واضح أن يُسمع له ويُطاع؛ لكن كيف يُطاع الفاجر والعاصي؟! لأنك لا تُطيعه في المعصية، أمّا كونه قد ولاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فكما قال النبي ﷺ ؛ بل قبل ذلك قال الله تعالى: ﴿ **قُلِ اَللَّهُمَّ مَٰلِكَ اَلْمُلْكِ تُؤْتِي اَلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ اَلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ** ﴾ [آل عمران:٢٦] لا يمكن أن يتملّك أحد على وجه الأرض إلا إذا ملّكه الله؛ ثم إن الله تعالى أخبر أن الأمر بيده إن شاء نزع من شاء منه إن شاء أبقى الملك من شاء منهم؛ لكن إذا ثبتت له الولاية ترتبت عليه أحكامها؛ ولهذا قال ﷺ : «**وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ**»، هو الذي ولاه الله عَزَّوَجَلَّ، تمكين الله لهذا دون غيره هذا من تولية الله عَزَّوَجَلَّ له، يترتب عليها جملة من الأحكام، من ضمنها السمع والطاعة له في المعروف، بغض النظر عن برّه أو فجوره ما دام مُسلم، المقصود ما دام مُسلما، قد يكون عاصيًا قد يكون عنده كبائر ذنوب، وأعظم الكبائر التي هي أعظم من شرب الخمر وأعظم من

الزنا، التعدي على الناس في دمائهم؛ فهذه أعظم ومع ذلك أمر الصحابة بالصبر على مثل الحجاج وعلي غيره، في «البخاري» أن أنس رضي الله عنه قال: (لما شكا أهل العراق ما الحجاج، قال:«**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ** صلى الله عليه وسلم »؛ فيُصبر عليهم لتثبت الجماعة، ولا ينخرم أمر الجماعة، وتتفرق الأمة شذر مذر وتكون أُلعوبة بيد أعدائها، «**ما لم يأمروا معصية**» طيب إذا أمروا بمعصية لا يُطاعون في المعصية؛ لكن ماذا عن أوامرهم الأخرى باقية، بعض الناس يفهم أنه مثلًا لا نُطيعهم في المعصية خلاص إذا أمر بمعصية انتهت ولايته هذا غير صحيح، وين جبت الفهم هذا منه؟ لا نُطيعهم فيما أمرونا فيه من معصية، أما بقية الأمور، التي يأمرون فيها مما ليس فيه معصية؛ فإنهم يُطاعون فيها.

وقال: «**فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله**»، طيب من هو ولي الأمر؟!! قطعًا من المسلمين، كلام على ولي الأمر المسلم، أمّا الكافر فليس له ولاية على المسلمين، «**ومن ولي الخلافة**» هو المقصود بالكافر الكافر الحقيقي ما هو بالكافر اللي بالهوى إذا أراد الإنسان يُزحزح لحاكم قال هذا كافر، انظر صنع كذا وصنع كذا وهذا يدل على كفره -هذا نسميهم استنباطي-، الكافر واضح والمسلم واضح، كون هذا المسلم عاصيًا عنده تجرء على الدماء أو على الأموال هذا وضع آخر، هذه معصية، لو وصلت هذا النوع من معاصيه سائر الأرض فهو مسلم؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، **برهان**، ما هو بالمسألة هوى، إذا أراد إنه يتنصل من ولاية أحد قال هو كافر، وأنا ما أنزع يدًا من طاعة مؤمن؛ لكن هذا كافر، لا، الكفر ليس أُلعوبة «**عندك فيه من الله برهان**».

قال: «**ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس**»، **أي**: طواعية ورضوا به؛ فهذا أفضل أنواع الولاية؛ لأن الناس بايعوه عن رضا فهو ولي أمرهم، وذلك بلا شك يكون أيسر وأسلم للجماعة؛ لكن يأتي وضع آخر أن يغلبهم بسيفه، ويتمكّن بالقوة من السيطرة على الحكم، حتى يُقال وين خليفتكم؟ هذا الخليفة، وين ملككم؟ هذا الملك، وين أمير المؤمنين؟ هذا، قال: «**حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين**»، سموه قال هذا الآن تملّك، تملّك؛ أمسك البلد صار يأمر وينهى؛ يجب أن يُطاع، كيف يطاعوه أتى إلى الناس بالقوة؛ حتى تُطفأ الفتنة، وحتى لا تسيل الدماء بين المسلمين؛ لأن لو قيل لا قاومه، كيف يقاومونه وهو قد غلبهم بسيفه بالقوة؛ فمن خرج عليه أباده؛ لهذا إذا تمكّن وتغلّب؛ فإنه في هذه الحالة يُسمع له ويطاع، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين، ما هو بشق عصاه هو؟! لا هو

تملَّك وصار الآن حاكمًا على المسلمين، إذا خرجت عليه شققت عصا المسلمين؛ ولهذا في الحديث: «**مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» طيب في اللفظ الآخر: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ**»؛ مُفارقة الجماعة كيف تكون؟! هل تشوف لك أحد يعني غضبان على جيرانه وعلى الناس ويأخذ سيفًا يضرب الناس؟ لا، الجماعة الخروج عليها الخروج على رأسها؛ فإذا خرج على رأسها خرج على جماعة المسلمين، جماعة المسلمين يكون لها رأس يأمر وينهى يُطاع بالمعروف ويُصبر على ما قد يكون عنده من جور، تعدي أو عدم إيفاء حقوق يُصبر لأجل سلامة الجماعة؛ فمن خرج عليهم فقد شق عصا المسلمين.

❁ **قال المصنف:** «وَمِنَ اَلسُّنَّةِ هُجْرَانُ أَهْلِ اَلْبِدَعِ وَمُبَايَنَتُهُمْ، وَتَرْكُ اَلْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي اَلدِّينِ، وَتَرْكُ اَلنَّظَرِ فِي كُتُبِ اَلْمُبْتَدِعَة وَالْإِصْغَاءِ إِلَى كَلَامِهِمْ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ فِي اَلدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ اَلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ، كَالرَّافِضَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ، والكُلَّابِيَّةِ، وَنَظَائِرِهِمْ؛ فَهَذِهِ فِرَقُ اَلضَّلَالِ، وَطَوَائِفُ اَلْبِدَعِ، أَعَاذَنَا اَللهُ مِنْهَا؛ وَأَمَّا اَلنِّسْبَةُ إِلَى إِمَامٍ فِي فُرُوعِ اَلدِّينِ، كَالطَّوَائِفِ اَلْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإِنَّ اَلِاخْتِلَافَ فِي اَلْفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ محمودون فِي اِخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اِجْتِهَادِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

نَسْأَلُ اَللهُ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ اَلْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ ، وَيُحْيِينَا عَلَى اَلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتْبَعُ رَسُولَ اَللهِ ﷺ فِي اَلْحَيَاةِ ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ بَعْدَ اَلْمَمَاتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ آمِينَ .

وَهَذَا آخِرُ اَلْمُعْتَقَدِ وَالْحَمْدِ لِلَّهِ وَحْدَه وَصَلَّى اَللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدْ وَآلِهُ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا».

ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر لك المعتقد هناك من يخالف هذا المعتقد، قال: «**من السنة هجران أهل البدع**»، إذا كان النبي ﷺ هجر ثلاثةً من خيار أصحابه رضي الله عنهم لما تخلّفوا عن غزوة تبوك، حتى أنزل الله توبته عليهم؛ فما بالك بالمخالف الذي يأتي ببدعةٍ على خلاف الاعتقاد الصواب لا شك أنهم أهلٌ لئن يُهجروا.

والهُجران متنوع، منه ترك السلام، منه ترك زيارتهم، وترك عيادة مرضاهم، وترك شهود جنائزهم، فأنواعٌ من الهُجران، إذا كان الواحد من أهل البدع جاهلًا فأوّل ما يُبدأ معه بالتعليم يُعلّم، أمّا إذا كان مُصّرًا فإنه يُهجر، ويُتقرب إلى الله تعالى بهجره، «**ومباينتهم**» من المباينة المخالفة لهم، «**وترك الجدال**

والخصومات في الدين»، المُصّر من هؤلاء الذي يُريد أن يُوصل شُبهاته من خلال مناقشات لا يحل أن يُناقش؛ لكن من جاء مُستعلمًا مُستفهمًا يريد منك أن تدلهُ وعلمتَ ذلك منه؛ فإنك توجهه، أمّا المُخاصمات والمجادلات بحيث يصل إلى عامة المسلمين من الشبهات ما لم يكونوا يعلمونه فلا، «**وترك النظر في كتب المبتدعة**» تكلّم عن الكتب، نحن الآن نقول في المواقع الإلكترونية في القنوات في سائر ما يوصلنا به ضررهم، يجب أن يُترك هذا ولا يُنظر فيه، ولا سيما والخائضون فيه في العموم الأغلب ممن يجهلون حقيقة هذه المذاهب وتدخل عليهم الشبهات وتضلهم وتزلزلهم.

أمّا إذا دخل في مثل هذه الأمور من يردّ عليه من أهل العلم؛ فهذا واضح أنه مُستثنى باعتبار أنه يُريد أن يدحض باطلهم؛ لكن لا يجوز أن يدحض باطلهم إلا إذا وصل المسلمين، أمّا ما دام باطلهم في بُلدانهم ولا يصل إلى المسلمين شرهُ فإنه لا يجوز أن يناقش إذا ناقشتهُ فتحت الباب على الناس؛ لكن إذا وصل الضُرّ إلى المسلمين؛ فإنك تردّ من باب الضرورة؛ وهكذا «**الإصغاء إلى كلامهم**» لا تُصغِ إلى كلامهم ولا تُعيرهم سمعك، «وكل محدثة في الدين –فإنها– بدعة، وكل مُتسّمٍ» **أي**: يُسمي نفسه بغير الإسلام والسنة، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**﴾ [الحج:٧٨] ؛ فاسمنا هو الإسلام، وكذلك السنة؛ لأنها سنة رسول الله ﷺ التي قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**»؛ فإذا تسمى بغير الإسلام والسنة وسمى نفسه باسمٍ فإنه مبتدع، ولو قال هذا الاسم جيد وأنا أقصد به معنى كذا ما يحل، لا يجوز هذا، قال: «**كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية**» الكرامية اندثروا أصحاب محمد بن كرام «**والكلابية**» اتباع عبد الله بن سعيد بن كُلّاب وهم الذين خلفهم وورثهم الأشعرية والماتُريدية؛ لأن أصل المقالتين تعود إلى مقالة ابن كُلّاب، قال: «**ونظائرهم**» ونظائرهم؛ «**فهذه فرق الضلال وطوائف البدع**».

ثم نبّهك إلى أمر الخلاف المتعلق بمسائل الأحكام واللي سمّاها «**فروع الدين**» كالموجود من مذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية هذا الخلاف ليس بمذمومٍ بشرط –يعني قد يكون مذمومًا– الشرط هذا هو الذي قرره الأئمة الأربعة رحمة الله عليهم وصاحوا به بأعلى أصواتهم هو: (ألا يقلّدوا ويتعصب لأقوالهم تعصب الأعمى)، وإذا تبيّن أن الحق في خلاف ما قرره إمام المذهب الذي أنت عليه، في المذاهب الفقهية فلا يحل لك أن تستمسك بقوله في هذه الحالة؛ بل هو ينهاك عن أن تستمسك بقوله، وللأئمة في هذا كلام عظيم جدًّا في زجر أتباعهم عن التعصب لأقوالهم، وأنهم بشر

يمكن أن يُخطئوا ويصيبوا ولا شك، يعني أن تتصور الإمام أحمد أقواله في الفقه من أولها إلى آخرها كلها صواب، إذًا هو نبي عندك؛ وليس بعالم من العلماء، الذي لا يُمكن أن يُخطئ هو رسول الله ﷺ، إذا كان الخطأ واردًا على أصحاب رسول الله ﷺ في الجانب الفقهي على الواحد قطعًا -المقصود على الواحد-، أما جميعهم فلا يمكن أن يجمعوا على باطل رضي الله عنهم.

إذا كان يمكن أن يُخطئ في المسألة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووقع منه رضي الله عنه بعض المسائل نبّهوا عليه الصحابة فرجع عنها، طيب أبو حنيفة وأحمد ومالك الشافعي أليسوا دونه؟ بلى.

فالمدارس هذه ينشأ الإنسان في بيئة حنفية كل من حوله يُدرسون الفقه الحنفي ما في إشكال؛ لكن عندك القاعدة التي يمشي عليها الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي وهي أنه يُقدّم الدليل؛ فمتى ظهر الدليل فإنه يترك القول الشائع في المذهب، ويُقدّم عليه الدليل، وهذا الذي عليه المحققون من أهل العلم رحمهم الله تعالى لا يترددون في هذا، وأوّل مُحققين أقرّ هذا بعد الصحابة والتابعين هم الأئمة الأربعة، كلهم يقولون إياكم والاستمساك بقول يقوله الواحد منّا ثُم يُخطئ فيه ثم تأخذونه كأنّه قرآن أو سنة.

إذًا هذا الخلاف متى لا يكون مذمومًا؟!

إذا كان بهذا الشرط، عند ذلك يكون خلاف اجتهاد؛ لهذا قال: «**فهم محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم**»؛ لكن بشرط أن يكون الإنسان ممن يحق له الاجتهاد، أما أن يأتي مثل بعض الناس العامة ويفعل فيقول والله أنا اجتهدت فيه، ما نبغي أنك تجتهد أنت، الاجتهاد ليس لأي أحد حتى يجتهد؛ وإنما لمن له حق وتأهُل في العلم الشرعي حتى يجتهد.

قال: «**واختلافهم رحمةٌ واسعة**»، لماذا؟ لأنه مثلًا إذا كان عاميًا وتبع أصحاب هذا المذهب وكانوا على خطأ، هذا العامي لا يُعاقب، لماذا؟ لأنه اتبع مجتهدًا، وهذا المجتهد مُثاب، والعامي ما يستطيع أنه يُحرر مسائل العلم ويعرف الأدلة؛ فعند ذلك تكون رحمة، حتى وإن كان الراجح في قول غيرهم.

قال: «**واتفاقهم حجة قاطعة**» قطعًا إذا اتفقوا على الأمر؛ فإنهم لا يتفقون على باطل.

ثُم دعا الله بأن يعصمنا من البدع والفتن وأن يُحيينا على الإسلام والسنة وأن يجعلنا ممن يتبع نبيه ﷺ ويحشرنا في زمرته.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[1].

ألقيت هذه الدروس في الفترة من التاسع والعشرين من شهر محرم إلى الخامس من شهر صفر سنة أربعة وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة النبوية

بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية، بحي السويدي، الرياض حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

(١) نهاية الدرس الرابع.